

(تفسير سورة عبس وهي مكية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يُزَكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ اللَّهُ كَرِي * أَمَا
مَنْ أَسْتَفْتَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى * وَأَمَا مِنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ
عَنْهُ تَلْهَى * كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ * فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مُرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي
سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ)

ذكر غير واحد من المفسرين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما يخاطب بعض عطاء قريش وقد طمع في إسلامه فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابن أم مكتوم وكان ممن أسلم قديما فجعل يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء ويلج عليه وود النبي صلى الله عليه وسلم أن لو كف ساعته تلك ليتكلم من مخاطبة ذلك الرجل طمعا ورغبة في هدايته . وعبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه وأقبل على الآخر فأنزله الله تعالى (عبس وتولى أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكى) أي يحصل له زكاة وطهارة في نفسه (أويذ كرفتنفعه الله كرى) أي يحصل له اتعاظ وازدجار عن المحارم (أما من استفتى فأنت له تصدى) أي أما الغنى فأنت تتعرض له لعله يهتدى (وما عليك ألا يزكى) أي ما أنت بمطالب به إذا لم يحصل له زكاة (وأما من جاءك يسعى * وهو يخشى) أي يقصدك ويؤمك ليهتدى بما تقول له (فانت عنه تلهي) أي تتشاغل ، ومن ههنا أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن لا يخش بالانذار أحدا بل يساوي فيه بين الشريف والضعيف والفقير والغني والسادة والعبيد والرجال والنساء والصغار والكبار ثم الله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة . قال الحافظ أبو يعلى في مسنده حدثنا محمد بن مهدي حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس رضي الله عنه في قوله تعالى (عبس وتولى) جاء ابن أم مكتوم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يكلم أبي بن خلف فأعرض عنه فأنزله الله عز وجل (عبس وتولى * أن جاءه الأعمى) فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه . قال قتادة وأخبرني أنس بن مالك قال : رأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سواده يعني ابن أم مكتوم وقال أبو يعلى وابن جرير حدثنا سعيد بن يحيى الأموي حدثني أبي قال هذا ما عرضنا على هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت أنزلت (عبس وتولى) في ابن أم مكتوم الأعمى أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول أرشدني قالت وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من عطاء المشركين قالت فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول « أتري بما أقول بأسا ؟ » فيقول لا . وفي هذا أنزلت (عبس وتولى) . وقد روى الترمذي هذا الحديث عن سعيد بن يحيى الأموي بأسناده مثله ، ثم قال وقد رواه بعضهم عن هشام بن عروة عن أبيه قال أنزلت عبس وتولى في ابن أم مكتوم ولم يذكر فيه عن عائشة (قلت) كذلك هو في الموطأ . ثم روى ابن جرير وابن أبي حاتم أيضا من طريق العوفي عن ابن عباس قوله (عبس وتولى أن جاءه الأعمى) قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وكان يتصدى لهم كثيرا ويحرص عليهم أن يؤمنوا فأقبل إليه رجل أعمى يقال له عبد الله بن أم مكتوم يمضي وهو يناجيهم فجعل عبد الله يستقرئ النبي صلى الله عليه وسلم آية من القرآن وقال يا رسول الله علني بما أمرك الله فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبس في وجهه وتولى وكره كلامه وأقبل على الآخرين فلما قضى رسول الله ﷺ نجواه وأخذ ينقلب إلى أهله أمسك الله بعض بصره وخفق برأسه ثم أنزل الله تعالى (عبس وتولى * أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكى * أويذ كرفتنفعه الله كرى) فلما نزل فيه ما نزل أكرمه رسول الله

ﷺ وكلمه وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما حاجتك ؟ هل تريد من شيء ا - وإذا ذهب من عنده قال - هل لك حاجة في شيء ؟ » وذلك لما أنزل الله تعالى (أما من استغنى فأنت له تصدى . وما عليك ألا يزكى) فيه غرابة ونكارة وقد تكلم في إسناده وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور الرمادى حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث حدثني يونس عن ابن شهاب قال : قال سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أم مكتوم » وهو الأعمى الذى أنزل الله تعالى فيه (عسى وتولى * أن جاءه الأعمى) وكان يؤذن مع بلال ، قال سالم وكان رجلا ضرير البصر فلم يك يؤذن حتى يقول له الناس حين ينظرون إلى بزوغ الفجر أذن . وهكذا ذكر عروة بن الزبير ومجاهد وأبو مالك وقاتدة والضحاك وابن زيد وغير واحد من السلف والخلف أنها نزلت في ابن أم مكتوم والمشهور أن اسمه عبد الله ويقال عمرو والله أعلم وقوله تعالى (كلا إنها تذكرة) أى هذه السورة أو الوصية بالمساواة بين الناس في إبلاغ العلم بين شريفهم ووضعهم وقال قتادة والسدى (كلا إنها تذكرة) يعنى القرآن (فمن شاء ذكره) أى فمن شاء ذكر الله تعالى في جميع أموره ويحتمل عود الضمير إلى الوحي لدلالة الكلام عليه

وقوله تعالى (فى صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة) أى هذه السورة أو العظة وكلاهما متلازم بل جميع القرآن فى صحف مكرمة أى معظمة موقرة (مرفوعة) أى عالية القدر (مطهرة) أى من الدنس والزيادة والتقص وقوله تعالى (بأيدى سفرة) قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وابن زيد : هى الملائكة . وقال وهب بن منبه هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال قتادة هم القراء وقال ابن جريج عن عباس السفرة بالنبطية القراء ، وقال ابن جرير والصحيح أن السفرة الملائكة والسفرة يعنى بين الله تعالى وبين خلقه ومنه يقال السفير الذى يسعى بين الناس فى الصلح والخير كما قال الشاعر :

وما أدع السفارة بين قومي وما أمشى بعش إن مشيت

وقال البخارى : سفرة : الملائكة ، سفرت أصلحت بينهم وجعلت الملائكة إذا نزلت بوحي الله تعالى وتأديته كالسفير الذى يصلح بين القوم وقوله تعالى (كرام بررة) أى خلقهم كريم حسن شريف وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة ومن ههنا ينبغى لحامل القرآن أن يكون فى أفعاله وأقواله على السداد والرشاد . قال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا هشام عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعد بن هشام عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرؤه وهو عليه شاق ، له أجران » أخرجه الجماعة من طريق قتادة به

﴿ قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَى شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ * كَلَّامًا يَفْضُ مَا أَمَرَهُ * فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَا صَبَّبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعَيْنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَيْكَةً وَأَبًّا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾

يقول تعالى ذاما لمن أنكر البعث والنشور من بنى آدم (قتل الإنسان ما أكفره) قال الضحاك عن ابن عباس (قتل الإنسان) لعن الإنسان ، وكذا قال أبو مالك وهذا لجنس الإنسان المكذب لكثرة تكذيبه بلا مستند بل بمجرد الاستبعاد وعدم العلم ، قال ابن جريج (ما أكفره) أى ما أشد كفره ، وقال ابن جرير ويحتمل أن يكون المراد أى شيء جعله كافرأى ما حمل على التكذيب بالمعاد . وقد حكاه البغوى عن مقاتل والكلبي وقال قتادة (ما أكفره) ما ألغى ، ثم بين تعالى له كيف خلقه من الشيء الحقير وأنه قادر على إعادته كما بدأه فقال تعالى (من أى شيء خلقه ؟

من نطفة خلقه قدره) أى قدر أجله ورزقه وعمله وشقى أو سعيد (ثم السبيل يسره) قال العوفى عن ابن عباس ثم يسر عليه خروجه من بطن أمه ، وكذا قال عكرمة والضحاك وأبو صالح وقتادة والسدى واختاره ابن جرير وقال مجاهد هذه كقوله تعالى (إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا) أى بيناه له وأوضحناه وسهلنا عليه علمه، وكذا قال الحسن وابن زيد وهذا هو الأرجح والله أعلم وقوله تعالى (ثم أماته فأقبره) أى أنه بعد خلقه له أماته فأقبره أى جعله ذا قبر والعرب تقول قبرت الرجل إذا ولى ذلك منه ، وأقبره الله ، وعضبت قرن الثور وأعضبه الله وبترت ذنب البعير وابتره الله ، وطردت عنى فلانا وأطرده الله ، أى جعله طريدا ، قال الأعشى

لو أسندت ميتا إلى صدرها عاش ولم ينقل إلى قابر

وقوله تعالى (ثم إذا شاء أنشره) أى بعثه بعد موته ومنه يقال البعث والنشور (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أتم بشر تنشقرون) ، (وانظر إلى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما) وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أصبغ بن الفرج أخبرنا ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمح أخبره عن أبى الهيثم عن أبى سعيد عن النبى ﷺ قال « يا أكل التراب كل شئ من الإنسان إلا عجب ذنبه » قيل وما هو يارسول الله ؟ قال « مثل حبة خردل منه تشأون » وهذا الحديث ثابت فى الصحيحين من رواية الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة بدون هذه الزيادة ولفظه « كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب » . وقوله تعالى (كلا لما يقض ما أمره) قال ابن جرير يقول جل ثناؤه كلا ليس الأمر كما يقول هذا الإنسان الكافر من أنه قد أدى حق الله عليه فى نفسه وماله (لما يقض ما أمره) يقول لم يؤد ما فرض عليه عز وجل من الفرائض لربه عز وجل . ثم روى هو وابن أبى حاتم من طريق ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله تعالى (كلا لما يقض ما أمره) قال لا يقضى أحدا بذا كل ما افترض عليه، وحكاه البغوى عن الحسن البصرى بنحو من هذا ، ولم أجد للمتقدمين فيه كلاما سوى هذا ، والذى يقع فى معنى ذلك والله أعلم أن المعنى (ثم إذا شاء أنشره) أى بعثه (كلا لما يقض ما أمره) أى لا يفعله الآن حتى تنقضى المدة ويفرغ القدر من بى آدم ممن كتب الله أن يسجد منهم ويخرج إلى الدنيا وقد أمر به تعالى كونا وقدرنا فإذا تناهى ذلك عند الله أنشر الله الخلائق وأعادهم كما بدأهم وقد روى ابن أبى حاتم عن وهب بن منبه قال : قال عزيز عليه السلام قال الملك الذى جاءنى فان القبور هى بطن الأرض ، وإن الأرض هى أم الخلق فإذا خلق الله ما أراد أن يخلق وتمت هذه القبور التى مد الله لها انقطعت الدنيا ومات من عليها ولفظت الأرض ما فى جوفها وأخرجت القبور ما فيها ، وهذا شبيه بما قلنا من معنى الآية والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب. وقوله تعالى (فلينظر الإنسان إلى طعامه) فيه امتنان وفيه استدلال بإحياء النبات من الأرض الهامدة على إحياء الأجسام بعدما كانت عظاما بالية وترابا متمزقا (أنا صبينا الماء صبا) أى أنزلناه من السماء على الأرض (ثم شققنا الأرض شقيا) أى أسكنناه فيها فيدخل فى تخومها وتخلل فى أجزاء الحسا المودع فيها فنبت وارتفع وظهر على وجه الأرض (فأنبثنا فيها حبا وعنبا وقصبا) فالحب كل ما يذكر من الحبوب والعب معروف والقضب هو الفصفصة التى تأكلها الدواب رطبة ويقال لها القتب أيضا قال ذلك ابن عباس وقتادة والضحاك والسدى ، وقال الحسن البصرى : القضب العلف (وزيتونا) وهو معروف وهو آدم وعصيره آدم ويستصبح به ويدهن به (ونخلنا) يؤكل بلحا بسرورطبا وتمرا ونيثا ومطبوخا ويهتصر منه رب وخل (وحدائق غلبا) : أى بساتين قال الحسن وقتادة : غلبا نخل غلاظ كرام ، وقال ابن عباس ومجاهد كل ما التفت واجتمع وقال ابن عباس أيضا غلبا الشجر الذى يستظل به ، وقال طى بن أبى طلحة عن ابن عباس (وحدائق غلبا) أى طوال ، وقال عكرمة غلبا أى غلاظ الأوساط . وفى رواية غلاظ الرقاب ، ألم تر إلى الرجل إذا كان غليظ الرقبة قيل والله إنه لأغلب ، رواه ابن أبى حاتم وأنشده ابن جرير للفرزدق

عوى فأنار أغلب ضيفيا . قول ابن المراجعة ما استبثار

وقوله تعالى (وفاكهة وأبا) أما الفاكهة فكل ما يتفكه به من الثمار قال ابن عباس الفاكهة كل ما أكل رطبا والأب ما أنبتت الأرض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس ، وفى رواية عنه هو الحشيش البهائم وقال مجاهد وسعيد بن جبیر

وأبو مالك : الأب الكلاُ وعن مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد : الأب للبهائم كالفاكهة لبني آدم ، وعن عطاء كل شيء نبت على وجه الأرض فهو أب ، وقال الضحاك كل شيء أنبتته الأرض سوى الفاكهة فهو الأب وقال ابن إدريس عن عاصم بن كليب عن أبيه عن ابن عباس : الأب نبت الأرض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس . ورواه ابن جرير من ثلاث طرق عن ابن إدريس ثم قال حدثنا أبو كريب وأبو السائب قال حدثنا ابن إدريس حدثنا عبد الملك عن سعيد بن جبير قال عدّ ابن عباس وقال : الأب : ما أنبتت الأرض للأنعام وهذا لفظ حديث أبي كريب . وقال أبو السائب في حديثه ما أنبتت الأرض مما يأكل الناس وتأكل الأنعام ، وقال العوفي عن ابن عباس : الأب الكلاُ والمرعى ، وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد وغير واحد . وقال أبو عبيد القاسم بن سلام حدثنا محمد بن زيد حدثنا العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمي قال سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى (وفاكهة وأبا) فقال : أي مماء تظلي وأي أرض تقلى إن قلت في كتاب الله مالا أعلم ، وهذا منقطع بين إبراهيم التيمي والصديق رضي الله عنه . فأما ما رواه ابن جرير حيث قال : حدثنا ابن بشار حدثنا ابن أبي عمير حدثنا حميد عن أنس قال : قرأ عمر ابن الخطاب رضي الله عنه (عبس وتولى) فلما أتى على هذه الآية (وفاكهة وأبا) قال قد عرفنا الفاكهة فما الأب ؟ فقال لعمر بن الخطاب يا ابن الخطاب إن هذا هو التكلف فهو إسناد صحيح ، وقد رواه غير واحد عن أنس به ، وهذا محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه وإلا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض لقوله (فأبنتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا) وقوله تعالى (متاعا لكم ولأنعامكم) أي عيشة لكم ولأنعامكم في هذه الدار إلى يوم القيامة

﴿ فَإِذَا جَاءتِ الصَّاعَةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ * وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾

قال ابن عباس : الصاخة اسم من أسماء يوم القيامة عظمه الله وحدثه عباده . قال ابن جرير لعله اسم للنفخة في الصور وقال البغوي : الصاخة يعني صيحة يوم القيامة سميت بذلك لأنها تصخ الأسماع أي تبالغ في اصباحها حتى تكاد تصمها (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه) أي يرام ويفر منهم ويتبعدهم لأن الهول عظيم والحطب جليل قال عكرمة : يلقي الرجل زوجته فيقول لها يا هذه أي بعل كنت لك ؟ فتقول نعم البعل كنت وثني بخير ما استطاعت فيقول لها فإني أطلب إليك اليوم حسنة واحدة تهيبها لي لعل أنجو مما ترين فتقول له ما أيسر ما طلبت ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئا أتخوف مثل الذي تخاف . قال وإن الرجل ليلقي ابنه فيتعلق به فيقول يا بني أي والد كنت لك؟ فيثني بخير . فيقول له يا بني إني احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك لعل أنجو بها مما ترى . فيقول ولده : يا أبت ما أيسر ما طلبت ولكني أتخوف مثل الذي تخوف فلا أستطيع أن أعطيك شيئا يقول الله تعالى (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه) . وفي الحديث الصحيح في أمر الشفاعة أنه إذا طلب إلى كل من أولى العزم أن يشفع عند الله في الخلائق يقول نفسي نفسي لا أسألك اليوم إلا نفسي حتى إن عيسى بن مريم يقول لا أسأله اليوم إلا نفسي لا أسأله مريم التي ولدته ولهذا قال تعالى (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه) قال قتادة الأحب فالأحب والأقرب فالأقرب من هول ذلك اليوم . وقوله تعالى (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) أي هو في شغل شاغل عن غيره ، قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار بن الحارث حدثنا الوليد بن صالح حدثنا ثابت أبو زيد العباداني عن هلال بن خباب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تحشرون حفاة عراة مشاة غرلا » قال : فقالت زوجته يا رسول الله نظروا أو يرى بعضنا عورة بعض؟ قال « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » أو قال : ما أشغله عن النظر -

وقد رواه النسائي منفردا به عن أبي داود عن عارم عن ثابت بن يزيد وهو ابن زيد الأحول البصرى أحد الثقات عن هلال بن خباب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به . وقد رواه الترمذى عن عبد الله بن حميد عن محمد بن الفضل عن ثابت بن زيد عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « تحشرون حفاة عراة غرلا » فقالت امرأة أبيضر أو يرى بعضنا عورة بعض ؟ قال « يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » ثم قال الترمذى وهذا حديث حسن صحيح وقد روى من غير وجه عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وقال النسائي أخبرني عمرو بن عثمان حدثنا بقية حدثنا الزبيدي أخبرني الزهري عن عروة عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا » فقالت عائشة : يا رسول الله فكيف بالعورات ؟ فقال « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » انفرد به النسائي من هذا الوجه ، ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أزهر بن حاتم حدثنا الفضل بن موسى عن عائد بن شريح عن أنس بن مالك قال سألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله بأبي أنت وأمي ، إني سألتك عن حديث فتخبرني أنت به قال « إن كان عندي منه علم » قالت يا نبي الله كيف يحشر الرجال اقال « حفاة عراة » ثم انتظرت ساعة فقالت : يا رسول الله كيف يحشر النساء ؟ قال « كذلك حفاة عراة » قالت : واسوأته من يوم القيامة قال « وعن أى ذلك تسألين إنه قد نزل على آية لا يضرك كان عليك ثياب أولا يكون » قالت آية آية هي يا نبي الله قال (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) وقال البغوى في تفسيره أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد بن عبد الله حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن حدثنا محمد بن عبد العزيز حدثنا ابن أبي أويس حدثنا أبي عن محمد بن أبي عياض عن عطاء بن يسار عن سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان » فقلت يا رسول الله واسوأته ينظر بعضنا إلى بعض . فقال « قد شغل الناس لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » هذا حديث غريب من هذا الوجه جدا وهكذا رواه ابن جرير عن أبي عمار الحسين بن حريث الروزى عن الفضل بن موسى به ولكن قال أبو حاتم الرازى عائد بن شريح ضعيف في حديثه ضعف ، وقوله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة) أى يكون الناس هنالك فريقين وجوه مسفرة أى مستبشرة (ضاحكة مستبشرة) أى مسرورة فرحة من السرور في قلوبهم قد ظهر البشر على وجوههم وهؤلاء هم أهل الجنة (ووجوه يومئذ عليها غبرة * ترهقها قفرة) أى يعلوها وتغشاها قفرة أى سواد ، قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سهل بن عثمان العسكري حدثنا أبو حنيفة عن محمد بن جعفر بن محمد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ « يلجم الكافر العرق ثم تقع الغبرة على وجوههم » قال فهو قوله تعالى (ووجوه يومئذ عليها غبرة) وقال ابن عباس (ترهقها قفرة) أى يغشاها سواد الوجوه وقوله تعالى (أولئك هم الكفرة الفجرة) أى الكفرة قلوبهم الفجرة فى أعمالهم كما قال تعالى (ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) . آخر تفسير سورة عبس والله الحمد والمنة

(تفسير سورة التكوير وهي مكية)

قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا عبد الله بن بدير القاص أن عبد الرحمن بن يزيد الصنعاني أخبره أنه مع ابن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ (إذا الشمس كورت) و (إذا السماء انفطرت) و (إذا السماء انشقت) وهكذا رواه الترمذى عن العباس بن عبد العظيم العنبرى عن عبد الرزاق به

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ * بِأَى ذَنْبٍ)

قِيلَتْ * وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا الْجَبَلِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا الْجِبَّةُ أُزْلِفَتْ *
عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿

قال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس (إذا الشمس كورت) يعني أظلمت وقال العوفي عنه : ذهبت وقال مجاهد
اضمحلت وذهبت وكذا قال الضحاك وقال قتادة ذهب ضوءها وقال سعيد بن جبير كورت غورت وقال الربيع بن خيثم
كورت يعني رمى بها وقال أبو صالح كورت ألتيت وعنه أيضا نكست وقال زيد بن أسلم تقع في الأرض قال ابن
جرير والصواب من القول عندنا في ذلك أن التكوير جمع الشيء بعضه على بعض ومنه تكوير العمامة وجمع الثياب
بعضها إلى بعض فمعنى قوله تعالى (كورت) جمع بعضها إلى بعض ثم لفت فرمى بها وإذا فعل بهاذلك ذهب ضوءها
وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج وعمرو بن عبد الله الأودي حدثنا أبو أسامة عن مجاهد عن شيخ من بجيلة
عن ابن عباس إذا الشمس كورت قال يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ويبعث الله ريحا دبوراً
فتضرمها ناراً وكذا قال عامر الشعبي ، ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو صالح حدثني معاوية بن صالح
عن ابن يزيد بن أبي مريم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال في قول الله (إذا الشمس كورت) قال « كور -
في جهنم » ، وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده حدثنا موسى بن محمد بن حبان حدثنا درست بن زياد حدثنا يزيد
الرقاشي حدثنا أنس قال : قال رسول الله ﷺ « الشمس والقمر ثوران عقيران في النار » هذا حديث ضعيف لأن يزيد
الرقاشي ضعيف ، والذي رواه البخاري في الصحيح بدون هذه الزيادة ثم قال البخاري حدثنا مسدد حدثنا عبد العزيز
ابن المختار حدثنا عبد الله الداناج حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « الشمس والقمر
يكوران يوم القيامة » انفرد به البخاري وهذا لفظه وإنما أخرجه في كتاب بدء الخلق وكان جديراً أن يذكره ههنا
أو يكرره كما هي عادته في أمثاله وقد رواه البزار فجود إirاده فقال حدثنا إبراهيم بن زياد البغدادي حدثنا يونس بن
محمد حدثنا عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الداناج قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن خالد بن عبد الله القسري في هذا المسجد
مسجد الكوفة وجاء الحسن فجلس إليه فحدث قال حدثنا أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال « إن الشمس والقمر
ثوران في النار عقيران يوم القيامة » فقال الحسن وما ذنبهما ؟ فقال أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتقول أحسبه قال وما ذنبهما ثم قال لا يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه ولم يرو عبد الله الداناج عن أبي سلمة سوى
هذا الحديث وقوله تعالى (وإذا النجوم انكدرت) أي انثرت كما قال تعالى (وإذا السكوا كب انثرت) وأصل الانكدار
الانصباب . قال الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال ست آيات قبل يوم القيامة ، بينا الناس في أسواقهم
إذ ذهب ضوء الشمس فبيناهم كذلك إذ تناثرت النجوم فبيناهم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت
واضطربت واختلطت ففرغت الجن إلى الإنس وإلى الجن ، واختلطت الدواب والطير والوحوش فهاجوا
بعضهم في بعض (وإذا الوحوش حشرت) قال اختلطت (وإذا العشار عطلت) قال أهلها أهلها (وإذا البحار سجرت)
قال : قالت الجن نحن نأتىكم بالحبر قال فانطلقوا إلى البحر فاذا هونار تتأجج ، قال فبيناهم كذلك إذ تصدعت الأرض
صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى وإلى السماء السابعة العليا ، قال فبيناهم كذلك إذ جاءتهم الرياح فأماتهم .
رواه ابن جرير وهذا لفظه وابن أبي حاتم يبعثه وهكذا قال مجاهد والربيع بن خيثم والحسن البصري وأبو صالح
وحمد بن أبي سليمان والضحاك في قوله جل وعلا (وإذا النجوم انكدرت) أي تناثرت ، وقال طي بن أبي طلحة عن
ابن عباس (وإذا النجوم انكدرت) أي تغيرت . وقال يزيد بن أبي مريم عن النبي صلى الله عليه وسلم (وإذا النجوم
انكدرت) قال « انكدرت في جهنم وكل من عبد من دون الله فهو في جهنم إلا ما كان من عيسى وأمه ولورضيا
أنه يعبد لدخلاها » رواه ابن أبي حاتم بالاسناد المتقدم ، وقوله تعالى (وإذا الجبال سيرت) أي زالت عن أماكنها
ونسفت فتركت الأرض قافاً صافصفاً وقوله (وإذا العشار عطلت) قال عكرمة ومجاهد : عشار الإبل ، قال مجاهد :

عطلت تركت وسبيت وقال أبي بن كعب والضحاك أهلها وقال الربيع بن خيثم لم تحلب ولم تصر تخلى منها أربابها وقال الضحاك تركت لاراعى لها والمعنى في هذا كله متقارب ، والقصود أن العشار من الإبل وهى خيارها والحوامل منها التى قد وصلت فى حملها إلى الشهر العاشر - وأحدثها عشراء ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع - قد اشتغل الناس عنها وعن كفالتها والانتفاع بها بعد ما كانوا أرغب شئ فيها بما دهمهم من الأمر العظيم المقطع المائل وهو أمر يوم القيامة وانقضاء أسبابها ووقوع مقدماتها وقيل بل يكون ذلك يوم القيامة يراها أصحابها كذلك لاسبيل لهم إليها ، وقد قيل فى العشار إنها السحاب تعطل عن السير بين السماء والأرض لحراب الدنيا وقيل إنها الأرض التى تشر ، وقيل إنها الديار التى كانت تسكن تعطلت لذهاب أهلها - حكى هذه الأقوال كتابا الامام أبو عبد الله القرطبي فى كتابه التذكرة ورجح أنها الإبل وعزاه إلى أكثر الناس ﴿ قلت ﴾ لا يعرف عن السلف والأئمة سواه والله أعلم وقوله تعالى (وإذا الوحوش حشرت) أى جمعت كما قال تعالى (وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا آمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شئ ثم إلى ربهم يحشرون) قال ابن عباس يحشر كل شئ حتى الدباب رواه ابن أبى حاتم وكذا قال الربيع بن خيثم والسدى وغير واحد ، وكذا قال قتادة فى تفسير هذه الآية إن هذه الخلائق موافية فيقتضى الله ما فيها ما يشاء ، وقال عكرمة حشرها موتها وقال ابن جرير حدثنى طى بن مسلم الطوسى حدثنا عباد بن العوام حدثنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله (وإذا الوحوش حشرت) قال حشر البهائم موتها وحشر كل شئ الموت غير الجن والإنس فانهما يوقفان يوم القيامة حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن سفيان عن أبيه عن أبي يعلى عن الربيع بن خيثم (وإذا الوحوش حشرت) قال آتى عليها أمر الله ، قال سفيان قال أبى فذكرته لعكرمة فقال قال ابن عباس حشرها موتها وقد تقدم عن أبي بن كعب أنه قال (وإذا الوحوش حشرت) اختلطت قال ابن جرير والأولى قول من قال حشرت جمعت قال الله تعالى (والطيور محشورة) أى مجموعة ، وقوله تعالى (وإذا البحار سجرت) قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن عليه عن داود عن سعيد بن المسيب قال : قال طى رضى الله عنه لرجل من اليهود أين جهنم ؟ قال البحر فقال ما أراه إلا صادقا والبحر المسجور (وإذا البحار سجرت) وقال ابن عباس وغير واحد يرسل الله عليها الرياح الدبور فتسعرها وتصير نارا تأجج وقد تقدم الكلام على ذلك عند قوله تعالى (والبحر المسجور) وقال ابن أبى حاتم حدثنا طى بن الحسين بن الجنيد حدثنا أبو طاهر حدثنى عبد الجبار بن سليمان أبو سليمان النفاط - شيخ صالح يشبه مالك بن أنس - عن معاوية بن سعيد قال إن هذا البحر بركة - يعنى بحر الروم - وسط الأرض والأهبار كلها تصب فيه والبحر الكبير يصب فيه وأسفله آبار مطبقة بالنحاس فاذا كان يوم القيامة أسجر وهذا أثر غريب عجيب وفى سنن أبى داود « لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غاز فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا » الحديث وقد تقدم الكلام عليه فى سورة فاطر . وقال مجاهد والحسن بن مسلم : سجرت أوقدت وقال الحسن : يبست وقال الضحاك وقتادة : غاض ماؤها فذهب فلم يبق فيها قطرة ، وقال الضحاك أيضا سجرت فجرت ، وقال السدى فتحت وصيرت ، وقال الربيع بن خيثم سجرت فاضت ، وقوله تعالى (وإذا النفوس زوجت) أى جمع كل شكل إلى نظيره كقوله تعالى (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد بن الصباح البزار حدثنا الوليد بن أبى ثور عن سماك عن النعمان بن بشير أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « (وإذا النفوس زوجت) - قال - الضرياء كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله » وذلك بأن الله عز وجل يقول (وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين ، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ، والسابقون السابقون) قالهم الضرياء ، ثم رواه ابن أبى حاتم من طرق أخر عن سماك بن حرب عن النعمان بن بشير أن عمر بن الخطاب خطب الناس فقرا (وإذا النفوس زوجت) فقال تزوجها أن تؤلف كل شيعة إلى شيعتهم ، وفى رواية هما الرجلان يعملان العمل فيدخلان به الجنة أو النار وفى رواية عن النعمان قال سئل عمر عن قوله تعالى (وإذا النفوس زوجت) قال : يقرب بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح ويقرب بين الرجل السوء مع الرجل السوء فى النار فذلك تزويج الأنفس . وفى رواية عن النعمان

أن عمر قال للناس : ما تقولون في تفسير هذه الآية (وإذا النفوس زوجت) ؟ فسكتوا . قال ولكن أعلمه هو الرجل يزوج نظيره من أهل الجنة ، والرجل يزوج نظيره من أهل النار ثم قرأ (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى (وإذا النفوس زوجت) قال ذلك حين يكون الناس أزواجا ثلاثة وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد (وإذا النفوس زوجت) قال الأمثال من الناس جمع بينهم ؛ وكذا قال الربيع بن خيثم والحسن وقتادة واختاره ابن جرير وهو الصحيح .

﴿ قول آخر ﴾ في قوله تعالى (وإذا النفوس زوجت) قال ابن أبي حاتم حدثنا طي بن الحسين بن الجعيد حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثني أبي عن أبيه عن أشعث بن سرار عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: يسئل وادمن أصل العرش من ماء فبا بين الصيحتين ومقدار ما بينهما أربعون عاما فبنت منه كل خلق بلى من الإنسان أوطير أودابة ، ولو مر عليهم مار قد عرفهم قبل ذلك لعرفهم طي وجه الأرض قد نبتوا ثم توصل الأرواح فتزوج الأجساد فذلك قول الله تعالى (وإذا النفوس زوجت) وكذا قال أبو العالية وعكرمة وسعيد بن جبير والشعبي والحسن البصري أيضا في قوله تعالى (وإذا النفوس زوجت) أي زوجت بالأبدان . وقيل زوج المؤمنون بالجنات والعين وزوج الكافرون بالسيطين . حكاه القرطبي في التذكرة وقوله تعالى (وإذا الموءودة سئلت * بأي ذنب قتلت) هكذا قراءة الجمهور سئلت . والموءودة هي التي كان أهل الجاهلية يدسونها في التراب كراهية النبات ، فيوم القيامة تسئل الموءودة طي أي ذنب قتلت ليكون ذلك تهديدا لقاتلها فانه إذا سئل المظلوم لما ظن الظالم إذا اوقال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وإذا الموءودة سئلت) أي سألت . وكذا قال أبو الضحى سألت أي طالبت بدمها . وعن السدي وقتادة مثله . وقد وردت أحاديث تتعلق بالموءودة فقال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثني أبو الأسود وهو محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن عروة عن عائشة عن جذامة بنت وهب أخت عكاشة قالت حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس وهو يقول « لقد هممت أن أنهي عن الغيلة فنظرت في الروم وفارس فاذا هم يفلون أولادهم ولا يضر أولادهم ذلك شيئا » ثم سألوه عن العزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذلك الواد الحقي وهو الموءودة سئلت » ورواه أيضا ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يحيى بن إسحاق السيلحيني عن يحيى بن أيوب ، ورواه مسلم أيضا وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث مالك بن أنس ثلاثهم عن أبي الأسود به

وقال الإمام أحمد حدثنا ابن أبي عدي عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن علقمة عن سلمة بن يزيد الجعفي قال: انطلقت أنا وأخي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يارسول الله إن أمة مملكة كانت تصل الرحم وتقري الضيف وتفعل ، هلكت في الجاهلية فهل ذلك أفعها شيئا قال « لا » قلنا فأنها كانت وأدت أختنا لنا في الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئا قال « الوائدة والموءودة في النار إلا أن يدرك الوائدة الإسلام فيعفو الله عنها » ورواه النسائي من حديث داود بن أبي هند به . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا أبو أحمد الزيري حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن علقمة وأبي الأحوص عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الوائدة والموءودة في النار » وقال أحمد أيضا : حدثنا إسحاق الأزرق أخبرنا عوف حدثني خنساء ابنة معاوية الصريمية عن عمها قال: قلت يارسول الله من في الجنة قال « النبي في الجنة والشهيد في الجنة والمولود في الجنة والموءودة في الجنة »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا قرة قال سمعت الحسن يقول: قيل يارسول الله من في الجنة قال « الموءودة في الجنة » هذا حديث مرسل من مراسيل الحسن ومنهم من قبله . وقال ابن أبي حاتم حدثني أبو عبد الله الظهري حدثنا حفص بن عمر العدني حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قال : قال ابن عباس أطفال الشركين في الجنة فمن زعم أنهم في النار فقد كذب يقول الله تعالى (وإذا الموءودة سئلت * بأي ذنب قتلت) قال ابن عباس هي اللدفونة . وقال عبد الرزاق أخبرنا إسرائيل عن سماك بن حرب عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب في قوله تعالى (وإذا

للوودة مثلت) قال جاء قيس بن عاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى وأدت بنات لى فى الجاهلية قال « أعتق عن كل واحدة منهن رقبة » قال يا رسول الله انى صاحب إبل قال « فأعقر عن كل واحدة منهن بدنة » قال الحافظ أبو بكر البرزخولى فى عبد الرزاق ولم يكتبه إلا عن الحسين بن مهدي عنه ، وقدره ابن أبى حاتم فقال أخبرنا أبو عبد الله الظهراى فيما كتب إلى قال حدثنا عبد الرزاق فذكره باسناده مثله ، إلا أنه قال : وأدت ثمان بنات لى فى الجاهلية وقال فى آخره « فأهد إن شئت عن كل واحدة بدنة » ثم قال حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا قيس بن الربيع عن الأغر بن الصباح عن خليفة بن حصين قال قدم قيس بن عاصم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى وأدت اثنتى عشرة ابنة لى فى الجاهلية أو ثلاث عشرة قال « أعتق عددن نسبا » قال فأعتق عددن نسبا ، فلما كان فى العام المقبل جاء بمائة ناقة فقال يا رسول الله هذه صدقة قومى على أثر ما صنعت بالمسلمين قال على ابن أبى طالب فكنا نريها ونسميها القيسية . وقوله تعالى (وإذا الصحف نشرت) قال الضحاك أعطى كل إنسان صحيفته يمينه أو بشماله وقال قتادة يا ابن آدم تملى فيها ثم تطوى ثم تنشر عليك يوم القيامة فلينظر رجل ماذا يملى فى صحيفته وقوله تعالى (وإذا السماء كشطت) قال مجاهد اجتذبت وقال السدى كشفت وقال الضحاك تنكشط فتذهب . وقوله تعالى (وإذا الجحيم سعرت) قال السدى أحميت وقال قتادة أوقدت قال وإنما يسعها غضب الله وخطايا بنى آدم . وقوله تعالى (وإذا الجنة أزلقت) قال الضحاك وأبو مالك وقتادة والربيع بن خيثم أى قربت إلى أهلها ، وقوله تعالى (علمت نفس ما أحضرت) هذا هو الجواب أى إذا وقعت هذه الأمور حينئذ تعلم كل نفس ما عملت وأحضر ذلك لها كما قال تعالى (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً) وقال تعالى (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عبدة حدثنا ابن المبارك حدثنا محمد بن مطرف عن زيد بن أسلم عن أبيه قال لما نزلت (إذا الشمس كورت) قال عمر لما بلغ (علمت نفس ما أحضرت) قال لهذا أجرى الحديث .

﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِالْجَنَّةِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ * وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّهُ تَقْوَلُ رَسُولِ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ * وَقَدْ رَءَاهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾

روى مسلم فى صحيحه والنسائى فى تفسيره عند هذه الآيه من حديث مسعر بن كدام عن الوليد بن سريغ عن عمرو بن حريث قال صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم الصبح فسمعتة يقرأ (فلا أقسم بالجنس * الجوار الكنس * والليل إذا عسعس * والصبح إذا تنفس) ورواه النسائى عن بندار عن غندر عن شعبة عن الحجاج بن عاصم عن أبى الأسود عن عمرو بن حريث به نحوه قال ابن أبى حاتم وابن جرير من طريق الثورى عن أبى إسحاق عن رجل من مراد عن على (فلا أقسم بالجنس ، الجوار الكنس) قال هى النجوم تخس بالنهار وتظهر بالليل وقال ابن جرير حدثنا ابن اللثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن ممالك بن حرب سمعت خلد بن عريرة سمعت علياً وسئل عن لا أقسم بالجنس الجوار الكنس فقال هى النجوم تخس بالنهار وتكنس بالليل وحدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن إسرائيل عن ممالك عن خالد بن على قال هى النجوم وهذ إسناد جيد صحيح الى خالد بن عريرة وهو السهمى الكوفى قال أبو حاتم الرازى روى عن على وروى عنه ممالك والقاسم بن عوف الشيبانى ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً فالله أعلم ، وروى يونس عن أبى إسحاق عن الحارث عن على أنها النجوم رواه ابن أبى حاتم وكذا روى عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة

والسدى وغيرهم أنها النجوم وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا هوزة بن خليفة حدثنا عوف عن بكر بن عبد الله في قوله تعالى (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس) قال هي النجوم الدراري التي تجرى تستقبل المشرق وقال بعض الأئمة إنما قيل للنجوم الخنس أى في حال طلوعها ثم هي جوار في فلكها وفي حال غيوبتها يقال لها كنس من قول العرب أوى الظبي إلى كناسه إذا تعيب فيه وقال الأعمش عن إبراهيم قال : قال عبد الله فلا أقسم بالخنس قال بقر الوحش وكذا قال الثوري عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة عن عبد الله فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس ما هي يأمرو ؟ قلت البقر قال وأنا أرى ذلك وكذا روى يونس عن أبي إسحاق عن أبيه وقال أبو داود الطيالسي عن عمرو عن أبيه عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس الجوار الكنس قال البقر تكنس إلى الظل وكذا قال سعيد بن جبيرة ، وقال العوفي عن ابن عباس هي الظباء وكذا قال سعيد أيضا ومجاهد والضحاك وقال أبو الشعثاء جابر بن زيد هي الظباء والبقر وقال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا هشيم أخبرنا مغيرة عن إبراهيم ومجاهد أنهما تذاكرا هذه الآية (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس) فقال إبراهيم لمجاهد قل فيها بما سمعت ، قال : فقال مجاهد كنا نسمع فيها شيئا وناس يقولون إنها النجوم قال فقال إبراهيم قل فيها بما سمعت ، قال فقال مجاهد كنا نسمع أنها بقر الوحش حين تكنس في حجرتها ، قال فقال إبراهيم إنهم يكذبون طي على هذا كما رووا عن طي أنه ضمن الأسفل الأعلى والأعلى الأسفل ، وتوقف ابن جرير في المراد بقوله (الخنس الجوار الكنس) هل هو النجوم أو الظباء وبقر الوحش قال ويحتمل أن يكون الجميع مرادا ، وقوله تعالى (والليل إذا عسعس) فيه قولان (أحدهما) إقباله بظلامه قال مجاهد أظلم وقال سعيد بن جبيرة إذانشا ، وقال الحسن البصري إذا غشى الناس ، وكذا قال عطية العوفي وقال طي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس (إذا عسعس) إذا أدير ، وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وكذا قال زيد بن أسلم وابنه عبدالرحمن (إذا عسعس) أى إذا ذهب فتولى وقال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي البحتري سمع أبا عبد الرحمن السلمي قال : خرج علينا طي رضى الله عنه حين ثوب الثوب بصلاة الصبح فقال : أين السائلون عن الوتر (والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس) ؟ هذا حين أدير حسن . وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله (إذا عسعس) إذا أدير قال لقوله (والصبح إذا تنفس) أى أضاء واشتهد بقول الشاعر أيضا : حتى إذا أصبح له تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا

أى أدير وعندى أن المراد بقوله (إذا عسعس) إذا أقبل وإن كان يصح استعماله في الإدبار أيضا لكن الإقبال ههنا أنسب كأنه أقسم بالليل وظلامه إذا أقبل وبالفجر وضياؤه إذا أشرق كما قال تعالى (والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى) وقال تعالى (والضحى والليل إذا سجى) وقال تعالى (فائق الإصباح وجعل الليل سكنا) وغير ذلك من الآيات ، وقال كثير من علماء الأصول إن لفظة عسعس تستعمل في الإقبال والإدبار على وجه الاشتراك فعلى هذا يصح أن يراد كل منهما والله أعلم . قال ابن جرير وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب يزعم أن عسعس دنا من أوله وأظلم ، وقال الفراء كان أبو البلاد النحوى ينشد بيتا : عسعس حتى لو يشأ أدنى كان له من ضوته مقبس

يريد لو يشاء إذ دنا أدغم الدال في الدال ؛ قال الفراء وكانوا يزعمون أن هذا البيت مصنوع . وقوله تعالى (والصبح إذا تنفس) قال الضحاك إذا طلع ، وقال قتادة إذا أضاء وأقبل وقال سعيد بن جبيرة إذا نشأ وهو المروى عن طي رضى الله عنه . وقال ابن جرير يعنى ضوء النهار إذا أقبل وتبين . وقوله تعالى (إنه لقول رسول كريم) يعنى إن هذا القرآن لتبليغ رسول كريم أى ملك شريف حسن الخلق بهى المنظر وهو جبريل عليه الصلاة والسلام قاله ابن عباس والشعبي وميمون بن مهران والحسن وقتادة والربيع بن أنس والضحاك وغيرهم (ذى قوة) كقوله تعالى (علمه شديد القوى * ذومرة) أى شديد الخلق شديد البطش والفعل (عند ذى العرش مكين) أى له مكانة عند الله عز وجل ومنزلة رفيعة ، قال أبو صالح في قوله تعالى (عند ذى العرش مكين) قال جبريل يدخل في سبعين حجبا من نور بغير إذن (مطاع ثم) أى له وجهة وهو مسموع القول مطاع في الملأ الأعلى قال قتادة (مطاع ثم) أى في السموات يعنى ليس هو من أفئدة اللائكة بل هو من السادة والأشراف معتنى به انتخب لهذه الرسالة العظيمة

وقوله تعالى (أمين) صفة لجبريل بالأمانة وهذا عظيم جدا أن الرب عز وجل يزكي عبده ورسوله المليك جبريل كما زكى عبده ورسوله البشرى محمدا صلى الله عليه وسلم يقوله تعالى (وما صاحبكم بمجنون) قال الشعبي وميمون ابن مهران وأبو صالح ومن تقدم ذكرهم المراد بقوله (وما صاحبكم بمجنون) يعنى محمدا ﷺ ، وقوله تعالى (ولقد رآه بالأفق المبين) يعنى ولقد رأى محمد جبريل الذى يأتيه بالرسالة عن الله عز وجل على الصورة التى خلقه الله عليها له ستائة جناح (بالأفق المبين) أى البين وهى الرؤية الأولى التى كانت بالبطحاء وهى المذكورة فى قوله (علمه شديد القوى . ذومرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى) كما تقدم تفسير ذلك وتقريره والدليل عليه أن المراد بذلك جبريل عليه السلام ، والظاهر والله أعلم أن هذه السورة نزلت قبل ليلة الإسراء لأنه لم يذكر فيها إلا هذه الرؤية وهى الأولى ، وأما الثانية وهى المذكورة فى قوله تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ ينشى السدرة ما ينشى) فتلك إنما ذكرت فى سورة النجم وقد نزلت بعد سورة الإسراء . وقوله تعالى (وما هو على الغيب بظنين) أى وما محمد على ما أنزله الله اليه بظنين أى بجهل . ومنهم من قرأ ذلك بالضاد أى بيجيل بل يبذله لكل أحد . قال سفيان بن عيينة ظنين وضنين سواء أى ماهو بكاذب وما هو بفاجر . والظنين التهم والضحنين اليجيل . وقال قتادة كان القرآن غيبا فأنزله الله على محمد فما ضن به على الناس بل نشره وبلغه وبذله لكل من أراه ، وكذا قال عكرمة وابن زيد وغير واحد واختار ابن جرير قراءة الضاد ﴿ قلت ﴾ وكلاهما متواتر ومعناه صحيح كما تقدم ، وقوله تعالى (وما هو بقول شيطان رجيم) أى وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم أى لا يقدر على حمله ولا يريده ولا ينبغي له كما قال تعالى (وما تنزلت به الشياطين . وما ينبغي لهم وما يستطيعون . إتهم عن السمع لم يزولون) ، وقوله تعالى (فأين تذهبون ؟) أى فأين تذهب عقولكم فى تكذيبكم بهذا القرآن مع ظهوره ووضوحه وبيان كونه حقا من عند الله عز وجل كما قال الصديق رضى الله عنه لوفد بني حنيفة حين قدموا مسلمين وأمرهم فنلوا عليه شيئا من قرآن مسيلة الكذاب الذى هو فى غاية الهديان والركاكة فقال : ويحك أين تذهب عقولكم ؟ والله إن هذا الكلام لم يخرج من إله ، أى من إله ، وقال قتادة (فأين تذهبون) أى عن كتاب الله وعن طاعته

وقوله تعالى (إن هو إلا ذكر للعالمين) أى هذا القرآن ذكر لجميع الناس يتذكرون به ويتعظون (لمن شاء منكم أن يستقيم) أى من أراد الهداية فعليه بهذا القرآن فإنه مناجاة له وهداية ، ولاهداية فيما سواه (وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين) أى ليست المشيئة موكولة اليكم فمن شاء اهتدى ومن شاء ضل بل ذلك كله تابع لمشيئة الله تعالى رب العالمين . قال سفيان الثورى عن سعيد بن عبدالعزيز عن سلمان بن موسى لما نزلت هذه الآية (لمن شاء منكم أن يستقيم) قال أبو جهل : الأمر بيننا إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم فأنزل الله تعالى (وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين) . آخر تفسير سورة التكويد والله الحمد والمنة .

(تفسير سورة الانفطار وهى مكية)

قال النسائى أخبرنا محمد بن قدامة حدثنا جرير عن الأعمش عن محارب بن دثار عن جابر قال : قام معاذ فضلى العشاء الآخرة فطول فقال النبي ﷺ « أفنان أنت يا معاذ ؟ أين كنت عن سبح اسم ربك الأعلى ، والضحى ، وإذا السماء انفطرت ! » وأصل الحديث مخرج فى الصحيحين ولكن ذكر (إذا السماء انفطرت) فى أفراد النسائى . وقد تقدم من رواية عبدالله بن عمر عن النبي ﷺ قال « من سره أن ينظر إلى القيامة رأى عين فليقرأ إذا الشمس كورت ، وإذا السماء انفطرت ، وإذا السماء انشقت »

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَفَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ * يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ رَبِّكَ الْأَكْرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * ﴾

فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ * كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ * وَإِنْ عَلَيْكُمْ لَحُفَظِينَ * كَرَامًا كَتِيبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿

يقول تعالى (إذا السماء انقطرت) أى انشقت كما قال تعالى (السماء منفطربة) (وإذا السكاكب انتثرت) أى تساقطت (وإذا البحار فجرت) قال طلى بن أبى طلحة عن ابن عباس فجر الله بعضها فى بعض وقال الحسن فجر الله بعضها فى بعض فذهب ماؤها ، وقال قتادة اختلط عندها بما لحها .

وقال الكلبي ملثت (وإذا القبور بعثت) قال ابن عباس بحثت ، وقال السدى تبعثر تحرك فيخرج من فيها (علمت نفس ما قدمت وأخرت) أى إذا كان هذا حصل هذا ، وقوله تعالى (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ؟) هذا تهديد لا كما يتوهمه بعض الناس من أنه إرشاد إلى الجواب حيث قال الكريم حتى يقول قائلهم غره كرمه بل المعنى فى هذه الآية ما غرك يا ابن آدم بربك الكريم أى العظيم حتى أقدمت على معصيته وقابلته بما لا يليق . كما جاء فى الحديث « يقول الله تعالى يوم القيامة يا ابن آدم ما غرك بى ؟ يا ابن آدم ماذا أحببت المرسلين ؟ »

قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن أبى عمر حدثنا سفيان أن عمر ميمع رجلا يقرأ (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم) فقال عمر : الجهل . وقال أيضا حدثنا عمر بن شيبه حدثنا أبو خلف حدثنا يحيى البكاء سمعت ابن عمر يقول وقرأ هذه الآية (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم) قال ابن عمر غره والله جهله قال وروى عن ابن عباس والربيع بن خيثم والحسن مثل ذلك . وقال قتادة (ما غرك بربك الكريم) شىء ، ما غر ابن آدم غير هذا العدو والشيطان . وقال الفضيل ابن عياض لو قال لى ما غرك بى لقلت ستورك المرخاة ، وقال أبو بكر الوراق لو قال لى ما غرك بربك الكريم لقلت غرنى كرم الكريم . وقال بعض أهل الإشارة إنما قال بربك الكريم دون سائر أسمائه وصفاته كأنه لقنه الاجابة وهذا الذى تخيله هذا القائل ليس بطائل لأنه إنما أتى باسمه الكريم لينبه على أنه لا ينبغي أن يقابل الكريم بالأفعال القبيحة وأعمال الفجور . وقد حكى البغوى عن الكلبي ومقاتل أنهما قالوا نزلت هذه الآية فى الأسود بن شريق ضرب النبي ﷺ ولم يعاقب فى الحالة الراهنة فأنزل الله تعالى (ما غرك بربك الكريم ؟)

وقوله تعالى (الذى خلقك فسواك فعدلك) أى جعلك سويا مستقيما معتدلا القائمة منتصبها فى أحسن الميئات والأشكال ، قال الإمام أحمد حدثنا أبو الفيرة حدثنا جرير حدثني عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نغير عن بشر بن جحاش القرشى أن رسول الله ﷺ جنى يوما فى كفه فوضع عليها اصبعه ثم قال « قال الله عز وجل : يا ابن آدم أى تجزنى وقد خلقتك من مثل هذه ؟ حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أتصدق وأتى أوان الصدقة ؟ » وكذا رواه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبه عن يزيد بن هارون عن جرير بن عثمان به قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزى وتابعه يحيى بن حمزة عن ثور بن يزيد عن عبد الرحمن بن ميسرة وقوله تعالى (فى أى صورة ما شاء ركبك) قال مجاهد فى أى شبه أب أو أم أو خال أو عم . وقال ابن جرير حدثني محمد بن سنان الفزارى حدثنا مطهر بن الهيثم حدثنا موسى بن طلى بن رباح حدثني أبى عن جدى أن النبي ﷺ قال له « ما ولد لك » قال يا رسول الله ما عسى أن يولد لى إما غلام وإما جارية . قال « فمن يشبه » قال يا رسول الله من عسى أن يشبه إما أباه وإما أمه فقال النبي ﷺ عندها « مه لا تقولن هكذا إن النطفة إذا استقرت فى الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم ؟ أم قرأت هذه الآية فى كتاب الله تعالى فى أى صورة ما شاء ركبك » قال شكلك

وهكذا رواه ابن أبى حاتم والطبرانى من حديث مطهر بن الهيثم به وهذا الحديث لو صح لكان فيصلا فى هذه الآية ولكن إسناده ليس بالثابت لأن مطهر بن الهيثم قال فيه أبو سيعد بن يونس كان متروك الحديث وقال ابن حبان :

يروى عن موسى بن طي وغيره ما لا يشبه حديث الأثبات ولكن في الصحيحين عن أبي هريرة أن رجلا قال
 يا رسول الله إن امرأتى ولدت غلاما أسود ، قال « هل لك من إبل ؟ » قال نعم ، قال « فما ألواتها » قال حمر. قال
 « فهل فيها من أورك » قال نعم ، قال « فأنتي أتاها ذلك » قال عسى أن يكون نزعه عرق قال « وهذا عسى أن يكون
 نزعه عرق » وقد قال عكرمة في قوله تعالى (في أى صورة ماشاء ربك) إن شاء في صورة قرد وإن شاء في صورة
 خنزير ، وكذا قال أبو صالح (في أى صورة ماشاء ربك) إن شاء في صورة كلب وإن شاء في صورة حمار وإن شاء
 في صورة خنزير وقال قتادة (في أى صورة ماشاء ربك) قال قادر والله ربنا طي ذلك ومعنى هذا القول عند
 هؤلاء أن الله عز وجل قادر على خلق النطفة على شكل قبيح من الحيوانات المنكرة الخلق ولكن بقدرته ولطفه وحمله
 يخلقه على شكل حسن مستقيم معتدل تام حس للنظر والهيئة . وقوله تعالى (كلا بل تكذبون بالدين) أى إنما
 يحملك على مواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصي تكذيب في قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب ، وقوله تعالى (وإن عليكم
 لحافظين * كراما كاتبين * يعلمون ما تفعلون) يعنى وإن عليكم ملائكة حفظة كراما فلا تقابلوهم بالقبايح فانهم يكتبون عليكم
 جميع أعمالكم . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا طي بن محمد الطنافسى حدثنا وكيع حدثنا سفيان ومسر عن علقمة
 ابن مرثد عن مجاهد قال : قال رسول الله ﷺ « أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى
 حالتين الجنابة والغائط . فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بجرم حائط أو ببيعه أو ليستره أخوه » . وقد رواه
 الحافظ أبو بكر البرزاري فوصله بلفظ آخر فقال حدثنا محمد بن عثمان بن كرامة حدثنا عبيد الله بن موسى عن حفص بن
 سليمان عن علقمة بن مرثد عن مجاهد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله ينهاكم عن التعري فاستحيوا
 من ملائكة الله الذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى ثلاث حالات : الغائط والجنابة
 والغسل فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه أو بجرم حائط أو ببيعه » ثم قال حفص بن سليمان لين الحديث
 وقد روى عنه واحتمل حديثه . وقال الحافظ أبو بكر البرزاري حدثنا يزيد بن أيوب حدثنا ميسرة بن إسماعيل الحلبي
 حدثنا تمام بن نجیح عن الحسن بن يعنى البصرى عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « ما من حافظين يرفعان
 إلى الله عز وجل ما حفظا في يوم فيرى في أول الصحيفة وفي آخرها استغفارا إلا قال الله تعالى قد غفرت لعبدي ما بين
 طرفي الصحيفة » ثم قال تفرد به تمام بن نجیح وهو صالح الحديث ﴿ قلت ﴾ وثقه ابن معين وضعفه البخارى وأبو زرعة
 وابن أبي حاتم والنسائى وابن عدى ورماه ابن حبان بالوضع وقال الإمام أحمد لا أعرف حقيقة أمره . وقال الحافظ أبو
 بكر البرزاري حدثنا إسحاق بن سليمان البغدادي المعروف بالفوسى حدثنا بيان بن حمران حدثنا سلام عن منصور بن زاذان
 عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لله ملائكة يعرفون بنى آدم - وأحسبه قال ويعرفون
 أعمالهم - فإذا نظروا إلى عبد يعمل بطاعة الله ذكروه بينهم ومموه وقالوا أفلح الليلة فلان . وإذا نظروا
 إلى عبد يعمل بمعصية الله ذكروه بينهم ومموه وقالوا هلك الليلة فلان » ثم قال البرزاري : سلام هذا ، أحسبه سلام المدائنى
 وهو لين الحديث

(إن الأبرار لى نعيم * وإن الفجار لى جحيم * يصلونها يوم الدين * وما هم عنها بغائبين * وما
 أدرك ما يوم الدين * ثم ما أدرك ما يوم الدين * يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله)

يخبر تعالى عما يصير الأبرار إليه من النعم وهم الذين أطاعوا الله عز وجل ولم يقابلوه بالمعاصي وقد روى ابن عساکر
 في ترجمة موسى بن محمد عن هشام بن عمار عن عيسى بن يونس بن أبي إسحاق عن عبيد الله عن محارب عن ابن عمر
 عن النبي ﷺ قال « إنما سماه الله الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء » ثم ذكر ما يصير إليه الفجار من الجحيم
 والعذاب القيم ولهذا قال (يصلونها يوم الدين) أى يوم الحساب والجزاء والقيامة (وما هم عنها بغائبين) أى

لا يغيثون عن العذاب ساعة واحدة ولا يخفف عنهم من عذابها ولا يجابون إلى ما يسألون من الموت أو الراحة ولو يوماً واحداً ، وقوله تعالى (وما أدراك ما يوم الدين) تعظيم لشأن يوم القيامة ثم أكد بقوله تعالى (ثم ما أدراك ما يوم الدين) ثم فسره بقوله (يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً) أى لا يقدر أحد على نفع أحد ولا خلاصه مما هو فيه إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ، ونذكر هنا حديث « يابى هاشم أتقوا أنفسكم من النار لا أملك لكم من الله شيئاً » وقد تقدم فى آخر تفسير سورة الشعراء ولهذا قال (والأمر يومئذ لله) كقوله (لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار) وكقوله (الملك يومئذ الحق للرحمن) وكقوله (مالك يوم الدين) قال قتادة (يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله) والأمر والله اليوم لله ولكنه لا ينازعه فيه يومئذ أحد . آخر تفسير سورة الانفطار والله الحمد ولله التوفيق والعصمة

(تفسير سورة المطففين وهى مدينة)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

﴿ وَيَلُّ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُواهُمْ أَوْ وُزَنُوا لَهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْغَالِبِينَ ﴾

قال النسائي وابن ماجه أخبرنا محمد بن عقيل زاد ابن ماجه وعبد الرحمن بن بشر قالوا: حدثنا علي بن الحسين بن واقد حدثني أبي عن يزيد وهو ابن أبي سعيد النحوي مولى قريش عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخصب الناس كيلاً فأنزل الله تعالى (ويل للمطففين) فحسنوا الكيل بعد ذلك . وقال ابن أبي حاتم حدثنا جعفر بن النضر بن حماد حدثنا محمد بن عبيد عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن هلال بن طلق قال بينا أنا أسير مع ابن عمر فقلت من أحسن الناس هيئة وأوفاهم كيلاً أهل مكة وأهل المدينة قال حق لهم أما سمعت الله تعالى يقول (ويل للمطففين) وقال ابن جرير حدثنا أبو السائب حدثنا ابن فضيل عن ضرار عن عبد الله للكاتب عن رجل عن عبد الله قال: قاله رجل ياباً عبد الرحمن إن أهل المدينة ليوفون الكيل قال وما يمنعهم أن يوفوا الكيل وقد قال الله تعالى (ويل للمطففين - حتى بلغ - يوم يقوم الناس لرب العالمين) والمراد بالتطفيف ههنا البخس فى الكيال والميزان إما بالازدياد إن اقتضى من الناس وإما بالنقصان إن قضاهم ولهذا فسر تعالى المطففين الذين وعدم بالحسار والهلاك وهو الويل بقوله تعالى (الذين إذا أكتالوا على الناس) أى من الناس (يستوفون) أى يأخذون حقهم بالوفى والزائد (وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) أى ينقصون ، والأحسن أن يجعل كالوا ووزنوا متعدياً ويكون هم فى محل نصب ، ومنهم من يجعلها ضميراً مؤكداً للستتر فى قوله كالوا ووزنوا ويحذف المفعول لدلالة الكلام عليه وكلاهما متقارب . وقد أمر الله تعالى بالوفاء فى الكيل والميزان فقال تعالى (وأوفوا الكيل إذا كالم وزنوا بالقسط المستقيم * ذلك خير وأحسن تأويلاً) وقال تعالى (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا تكلف نفساً إلا وسعها) وقال تعالى (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) وأهلك الله قوم شعيب ودمرهم على ما كانوا يبخسون الناس فى الميزان والكيل . ثم قال تعالى متوعداً لهم (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون * ليوم عظيم ؟) أى ما يخاف أولئك من البعث والقيام بين يدي من يعلم السرائر والضمائر فى يوم عظيم الهول كثير الفزع جليل الخطب من خسرفه أدخل ناراً حامية ؟ وقوله تعالى (يوم يقوم الناس لرب العالمين) أى يقومون حفاة عراة غرلاً فى موقف صعب حرج ضيق ضنك على المحرم ونضام من أمر الله تعالى ما تعجز القوى والحواس عنه

قال الإمام مالك عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال « يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه ، » رواه البخارى من حديث مالك وعبد الله بن عون كلاهما عن نافع به ورواه مسلم من الطريقين أيضاً ، وكذلك رواه أيوب بن يحيى وصالح بن كيسان وعبد الله وعبيد الله ابنا عمرو ومحمد بن إسحاق عن نافع عن ابن عمر به ولفظ الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا ابن إسحاق عن نافع عن ابن عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول « يوم يقوم الناس لرب العالمين لعظمة الرحمن عز وجل يوم القيامة حتى إن العرق ليجم الرجال إلى أنصاف

آذانهم (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن إسحق حدثنا ابن المبارك عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثني سليم بن عامر حدثني القناد يعني ابن الأسود الكندي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين - قال - فتصهرم الشمس فيكونون في العرق كقدر أعمالهم ، منهم من يأخذه إلى عقبيه ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه ومنهم من يأخذه إلى حقويه ومنهم من يلجمه إجماعاً » رواه مسلم عن الحكم بن موسى عن يحيى بن حمزة والترمذي عن سويد عن ابن المبارك كلاهما عن ابن جابر به (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا الحسن بن سوار حدثنا الليث بن سعد عن معاوية بن صالح أن أبا عبد الرحمن حدثه عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال « تدنو الشمس يوم القيامة طي قدر ميل ويزاد في حرها كذا وكذا ، تغلى منها الهوام كما تغلى القدور يرقون فيها طي قدر خطاياهم ، منهم من يبلغ إلى كفيه ومنهم من يبلغ إلى ساقيه ومنهم من يبلغ إلى وسطه ، ومنهم من يلجمه العرق » انفرد به أحمد

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو عشانة حى بن يؤمن أنه سمع عقبة بن عامر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « تدنو الشمس من الأرض فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبيه ومنهم من يبلغ إلى نصف الساق ومنهم من يبلغ إلى ركبتيه ومنهم من يبلغ العجز ومنهم من يبلغ الخاصرة ومنهم من يبلغ منكبيه ، ومنهم من يبلغ وسط فيه - وأشار بيده فألجمها فاه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير بيده هكذا - ومنهم من يغطي عرقه » وضرب بيده إشارة ، انفرد به أحمد ، وفي حديث أنهم يقومون سبعين سنة لا يتكلمون ، وقيل يقومون ثلاثمائة سنة وقيل يقومون أربعين ألف سنة ويقضى بينهم في مقدار عشرة آلاف سنة كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً « في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو عون الزبدي أخبرنا عبد السلام بن عجلان سمعت أبا يزيد اللدني عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ لبشير الغفاري « كيف أنت صانع في يوم يقوم الناس فيه ثلاثمائة سنة لرب العالمين من أيام الدنيا لا يأتيهم فيه خبر من السماء ولا يؤمر فيهم بأمر ؟ » قال بشير : المستعان الله ، قال « فإذا أويت إلى فراشك فتعوذ بالله من كرب يوم القيامة وسوء الحساب » ورواه ابن جرير من طريق عبد السلام به . وفي سنن أبي داود أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ بالله من ضيق المقام يوم القيامة . وعن ابن مسعود يقومون أربعين سنة رافعي رؤسهم إلى السماء لا يكلمهم أحد قد ألجم العرق برهم وقا جرهم ، وعن ابن عمر : يقومون مائة سنة رواها ابن جرير . وفي سنن أبي داود والنسائي وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب عن معاوية بن صالح عن أزهر بن سعيد الخزازي عن عاصم بن حميد عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يفتتح قيام الليل : يكبر عشرا ويحمد عشرا ، ويسبح عشرا ويستغفر عشرا ويقول « اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني » ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة

(كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَذِّبِينَ * الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الدِّينِ * وَمَا يَكْتُوبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ * كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمْ حُجُّوْنَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ * ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ)

يقول تعالى حقا (إن كتاب الفجار لفي سجين) أي ان مصيرهم ومأواهم لفي سجين فعيل من السجن وهو الضيق كما يقال فسيق وشريب وخير وسكير ونحو ذلك ولهذا عظم أمره فقال تعالى (وما أدراك ما سجين ؟) أي هو أمر عظيم وسجن مقيم وعذاب أليم ، ثم قد قال قائلون : هي تحت الأرض السابعة ، وقد تقدم في حديث البراء بن عازب في حديثه

الطويل : يقول الله عز وجل في روح الكافرا كتبوا كتابه في سجين . وسجين هي تحت الأرض السابعة وقيل صخرة تحت السابعة خضراء ، وقيل بر في جهنم ، وقد روى ابن جرير في ذلك حديثا غريبا منكرنا لا يصح فقال : حدثنا إسحاق بن وهب الواسطي حدثنا مسعود بن موسى بن مسكان الواسطي حدثنا نصر بن خزيمه الواسطي عن شعيب ابن صفوان عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الفلق جب في جهنم مغطى وأما سجين ففتوح » والصحيح أن سجين مأخوذ من السجن وهو الضيق فان الخلوقات كل ماتسافل منها ضاق وكل ما تعالى منها اتسع فان الأفلاك السبعة كل واحد منها أوسع وأعلى من الذي دونه وكذلك الأرضون كل واحدة أوسع من التي دونها حتى ينتهي السفول المطلق والمحلل الأضيق إلى المركز في وسط الأرض السابعة ولما كان مصير الفجار إلى جهنم وهي أسفل السافلين كما قال تعالى (ثم رددناه أسفل سافلين * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقال ههنا (كلا إن كتاب الفجار لفي سجين وما أدراك ما سجين) وهو يجمع الضيق والسفول كما قال تعالى (وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا) وقوله تعالى (كتاب مرقوم) ليس تفسيرا لقوله (وما أدراك ما سجين) وإنما هو تفسير لما كتب لهم من المصير إلى سجين أي مرقوم مكتوب مفروغ منه لا يزداد فيه أحد ولا ينقص منه أحد . قاله محمد بن كعب القرظي ثم قال تعالى (ويل يومئذ للسكذبين) أي إذا صاروا يوم القيامة إلى ما أوعدهم الله من السجن والعذاب اللين ، وقد تقدم الكلام على قوله ويل بما أغنى عن إعادته وأن المراد من ذلك الهلاك والدمار كما يقال ويل لفلان وكما جاء في المسند والسنن من رواية بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك الناس ويل له ويل له » ثم قال تعالى مفسرا للمكذبين الفجار الكفرة (الذين يكذبون يوم الدين) أي لا يصدقون بوقوعه ولا يعتقدون كونه ويستبعدون أمره ، قال الله تعالى (وما يكذب به إلا كل معتد أثيم) أي معتد في أفعاله من تعاطى الحرام والمجازة في تناول المباح والأثيم في أقواله إن حدث كذب ، وإن وعد أخلف ، وإن خاصم فجر ، وقوله تعالى (إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين) أي إذا سمع كلام الله تعالى من الرسول يكذب به ويظن به ظن السوء فيعتقد أنه مفتعل مجموع من كتب الأوائل كما قال تعالى (وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم ؟ قالوا أساطير الأولين) وقال تعالى (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا) قال الله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) أي ليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا إن هذا القرآن أساطير الأولين بل هو كلام الله ووجهه وتنزيله على رسوله صلى الله عليه وسلم وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به ما عليها من الرين الذي قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا ولهذا قال تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) والرين يعتري قلوب الكافرين والقيم للأبرار والنعين للقرين وقد روى ابن جرير والترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن العبد إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب منها سقل قلبه وإن زاد زادت فذلك قول الله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) » وقال الترمذي حسن صحيح ولفظ النسائي « إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة سوداء فان هو نزع واستغفر وتاب سقل قلبه فان عاد زيد فيها حتى تملأ قلبه فهو الران الذي قال الله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)

وقال أحمد حدثنا صفوان بن عيسى أخبرنا ابن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر سقل قلبه فان زاد زادت حتى تملأ قلبه وذاك الران الذي ذكر الله في القرآن (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) . وقال الحسن البصري هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب فيموت وكذا قال مجاهد بن جبر وقناة وابن زيد وغيرهم . وقوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) أي لهم يوم القيامة منزل ونزل سجين ثم هم يوم القيامة مع ذلك محجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم ، قال الإمام أبو عبدالله الشافعي وفي هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه عز وجل

يومئذ وهذا الذي قاله الإمام الشافعي رحمه الله في غاية الحسن وهو استدلال بمفهوم هذه الآية . كما دل عليه منطوق قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وكما دل على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم عز وجل في الدار الآخرة رؤية بالأبصار في عرصات القيامة وفي روضات الجنان الفاخرة . وقد قال ابن جرير حدثنا أبو معمر المقرئ حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن عمرو بن عبيد عن الحسن في قوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ المحجوبون) قال يكشف الحجاب فينظر إليه المؤمنون والكافرون ثم يحجب عنه الكافرون وينظر إليه المؤمنون كل يوم غدوة وعشية أو كلاما هذا معناه ، وقوله تعالى (ثم إنهم لصالوا الجحيم) أي ثم هم مع هذا الحرمان عن رؤية الرحمن من أهل النيران (ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون) أي يقال لهم ذلك على وجه التقرير والتوبيخ والتصغير والتحقير

﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيَيْنَ * وَمَا أَذْرَبَكُمْ مَا عَلَيُونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ *
إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ
مَخْتُومٍ * خِتَمُهُمْ مِنْهُ * فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِزَاجُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾

يقول تعالى حقا إن كتاب الأبرار وهم بخلاف الفجار لفي عليين أي مصيرهم إلى عليين وهو بخلاف سجين . قال الأعمش عن ثمر بن عطيبة عن هلال بن يساف قال سألت ابن عباس كعبا وأنا حاضر عن سجين قال هي الأرض السابعة وفيها أرواح الكفار ، وسأله عن عليين فقال هي السماء السابعة وفيها أرواح المؤمنين وهكذا قال غير واحد إنها السماء السابعة ، وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين) يعني الجنة . وفي رواية العوفي عنه أعمالهم في السماء عند الله وكذا قال الضحاك ، وقال قتادة عليون ساق العرش العيني ، وقال غيره عليون عند سدرة المنتهى والظاهر أن عليين مأخوذ من العلو ، وكلما علا الشيء وارتفع عظم واتسع ولهذا قال تعالى معظما أمره ومفخا شأنه (وما أدراك ما عليون) ثم قال تعالى مؤكدا لما كتب لهم (كتاب مرقوم يشهده المقربون) وهم الملائكة قاله قتادة ، وقال العوفي عن ابن عباس يشهده من كل سماء مقربوها . ثم قال تعالى (إن الأبرار لفي نعيم) أي يوم القيامة هم في نعيم مقيم وجنات فيها فضل عظيم (على الأرائك) وهي السرر تحت الجبال ينظرون قبل معناه ينظرون في ملكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذي لا ينقضي ولا يبديد وقيل معناه (على الأرائك ينظرون) إلى الله عز وجل ، وهذا مقابل لما وصف به أولئك الفجار (كلا إنهم عن ربهم يومئذ المحجوبون) فذكر عن هؤلاء أنهم يباحون النظر إلى الله عز وجل وهم على سررهم وفرشهم كما تقدم في حديث ابن عمر « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أذناه وإن أعلاهم لمن ينظر إلى الله عز وجل في اليوم مرتين » وقوله تعالى (تعرف في وجوههم نضرة النعيم) أي تعرف إذا نظرت إليهم في وجوههم نضرة النعيم أي صفة الترافة والحشمة والسرور والدعة والرياسة مما هم فيه من النعيم العظيم . وقوله تعالى (يسقون من رحيق مختوم) أي يسقون من خمر من الجنة والرحيق من أسماء الخمر قاله ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وابن زيد قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا زهير عن سعد أبي المعاصر الطائي عن عطية بن سعد العوفي عن أبي سعيد الخدري أراه قد رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال « أيا مؤمن سقى مؤمنا شربة ماء على طمأنينة سقاها الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم ، وأيا مؤمن أطعم مؤمنا على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة وأيا مؤمنا كسا مؤمنا ثوبا على عرى كساه الله من خضر الجنة » وقال ابن مسعود في قوله (ختامه مسك) أي خلطه مسك ، وقال العوفي عن ابن عباس طيب الله لهم الخمر فكان آخر شيء جعل فيها مسك ختم بمسك ، وكذا قال قتادة والضحاك ، وقال إبراهيم والحسن ختامه مسك أي عاقبته مسك وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا أبو حمزة عن جابر عن عبد الرحمن بن سابط عن أبي

الدرء (ختامة مسك) قال شراب أبيض مثل الفضة يختمون به شرابهم ولو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد طيبها وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد (ختامة مسك) قال طيبه مسك . وقوله تعالى (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) أى وفى مثل هذا الحال فليتنافس المتنافسون وليتباهى ويكاثرو ويستبق إلى مثله المستبقون كقوله تعالى (لئلا هذا فيعمل العاملون) ، وقوله تعالى (ومزاجه من تسنيم) أى ومزاج هذا الرحيق للوصوف من تسنيم أى من شراب يقال له تسنيم وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه ، قاله أبو صالح والضحاك ولهذا قال (عينا يشرب بها المقربون) أى يشربها المقربون صرفا وتمزج لأصحاب اليمين مزجا قاله ابن مسعود وابن عباس ومسروق وقتادة وغيرهم

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا أُنْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ أَنْقَلَبُوا فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَالُّونَ * وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ * فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَىٰ الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ * هَلْ نُؤِيبُ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

يخبر تعالى عن المجرمين أنهم كانوا في الدار الدنيا يضحكون من المؤمنين أى يستهزئون بهم ويحتقرونهم، وإذا مروا بالمؤمنين يتغامزون عليهم أى محتقرين لهم (وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين) أى وإذا انقلب أى رجع هؤلاء المجرمون إلى منازلهم انقلبوا إليها فاكهين أى مهمما طلبوا وجدوا ومع هذا ما شكروا نعمة الله عليهم بل اشتغلوا بالقوم المؤمنين يحقرونهم ويحسدونهم (وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لسالون) أى لكونهم على غير دينهم قال الله تعالى (وما أرسلوا عليهم حافظين) أى وما بعث هؤلاء المجرمون حافظين على هؤلاء المؤمنين ما يصدرونهم من أعمالهم وأقوالهم ولا كلفوا بهم ؟ فلم اشتغلوا بهم وجعلوا نصب أعينهم ، كما قال تعالى (اخشوا فيها ولا تكلمون * إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آتنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين . فانخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون إني حزتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون) ولهذا قال ههنا (فالיום) أى يوم القيامة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) أى فى مقابلة ما ضحك بهم أولئك (على الأرائك ينظرون) أى إلى الله عز وجل فى مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون ليسوا بضالين بل هم من أولياء الله القريبين ينظرون إلى ربهم فى دار كرامته وقوله تعالى (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ؟) أى هل جوزى الكفار على ما كانوا يقابلون به المؤمنين من الاستهزاء والتقصص أم لا ، يعنى قد جوزوا أو فر الجزاء وآتمه وأكمله . آخر تفسير سورة الطغفين ، والله الحمد والمنة .

(تفسير سورة الانشقاق وهى مكية)

قال مالك عن عبد الله بن يزيد عن أبي سلمة أن أبا هريرة قرأ بهم (إذا السماء انشقت) فسجد فيها فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد فيها رواه مسلم والنسائي من طريق مالك به . وقال البخارى حدثنا أبو النعمان حدثنا معتمر عن أبيه عن بكر عن أبي رافع قال صليت مع أبي هريرة العتمة قفراً (إذا السماء انشقت) فسجد فقلت له فقال سجدت خلف أبي القاسم عليه السلام فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه ورواه أيضا عن مسدد عن معتمر به ثم رواه عن مسدد عن يزيد بن زريع عن التيمي عن بكر عن أبي رافع فذكره ، وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن سلمان بن طرخان التيمي به وقد رواه مسلم وأهل السنن من حديث سفيان بن عيينة زاد النسائي وسفيان الثوري كلاهما عن أيوب بن موسى عن عطاء بن ميناء عن أبي هريرة قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا السماء انشقت) و (اقرأ باسم ربك الذى خلق)

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُمَّتْ * وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذِنَتْ ﴾

لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ * يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَقِيهِ * فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ *
فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا بَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَأَىٰ ظَهْرَهُ فَسَوْفَ
يَدْعُوا ثُبُورًا * وَيَصَلَّىٰ سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا * إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ * بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ
بِهِ بَصِيرًا ﴿

يقول تعالى (إذا السماء انشقت) وذلك يوم القيامة (وأذنت لربها) أى استمعت لربها وأطاعت أمره فيما أمرها به من الإنشاق وذلك يوم القيامة (وحقت) أى وحق لها أن تطيع أمره لأنه العظيم الذى لا يمانع ولا يغالب بل قد قهر كل شيء وذلك له كل شيء ثم قال (وإذا الأرض مدت) أى بسطت وفرشت ووسعت قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأطلي حدثنا ابن ثور عن معمر عن الزهرى عن على بن الحسين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا كان يوم القيامة مد الله الأرض مد الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه فأكون أول من يدعى وجبريل عن يمين الرحمن والله ما رآه قبلها فأقول يا رب إن هذا أخبرنى أنك أرسلته إلى فيقول الله عز وجل صدق ثم أشفع فأقول يا رب عبادك عبدوك فى أطراف الأرض - قال - وهو اللقاه الحمدود . وقوله تعالى (وألقت ما فيها وتخلت) أى ألقت ما فى بطنها من الأموات وتخلت منهم قاله مجاهد وسعيد وقتادة (وأذنت لربها وحقت) كما تقدم . وقوله (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا) أى إنك ساع إلى ربك سعيا وعامل عملا (فلاقية) ثم إنك ستلقى ما عملت من خير أو شر . ويشهد لذلك ما رواه أبو داود الطيالسى عن الحسن بن أبى جعفر عن أبى الزبير عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « قال جبريل يا محمد عش ما شئت فانك ميت ، وأحب ما شئت فانك مفارقة . واعمل ما شئت فانك ملاقيه » ومن الناس من يعيد الضمير على قوله ربك أى فلاق ربك ومعناه فيجازيك بعملك ويكافئك على سعيك ، وعلى هذا فسكلا القولين متلازم قال العوفى عن ابن عباس (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا) يقول تعمل عملا تلقى الله به خيرا كان أو شرا . وقال قتادة (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا) إن كدحك يا ابن آدم لضعيف فمن استطاع أن يكون كدحه فى طاعة الله فليفعل ولا قوة إلا بالله . ثم قال تعالى (فأما من أوتى كتابه يمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا) أى سهلا بلا تعسير أى لا يحقق عليه جميع دقائق أعماله فان من حوسب كذلك هلك لا محالة . وقال الامام أحمد : حدثنا إسماعيل أخبرنا أيوب عن عبد الله بن أبى مليكة عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من نوقش الحساب عذب » قالت فقلت : أفليس قال الله تعالى (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) قال « ليس ذاك بالحساب ولكن ذلك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب » وهكذا رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن جرير من حديث أيوب السخيتى ، به

وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا روح بن عبادة حدثنا أبو عامر الخزاز عن ابن أبى مليكة عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « إنه ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا معدنبا » فقلت أليس الله يقول (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) ؟ قال « ذاك العرض إنه من نوقش الحساب عذب » وقال بيده على إصبعه كأنه ينكت وقد رواه أيضا عن عمرو بن على عن ابن أبى عدى عن أبى يونس القشيري عن ابن أبى مليكة عن القاسم عن عائشة فذكر الحديث أخرجاه من طريق أبى يونس القشيري واسمه حاتم بن أبى صغيرة به قال ابن جرير : وحدثنا نصر بن على الجهضمي حدثنا مسلم عن الحرث بن الحرث أخى الزبير عن ابن أبى مليكة عن عائشة قالت من نوقش الحساب - أو من حوسب - عذب . قال ثم قالت إنما الحساب اليسير عرض على الله تعالى وهو يرام وقال أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا محمد بن إسحاق حدثنى عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير عن عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة قالت : سمعت رسول الله ﷺ

عليه وسلم يقول في بعض صلواته « اللهم حاسبني حسابا يسيرا » فلما انصرف قلت يا رسول الله ما الحساب اليسير ؟ قال « أن ينظر في كتابه فيتجاوزله عنه إنه من نوقش الحساب بإعائشة يومئذ هلك » صحيح على شرط مسلم ، وقوله تعالى (وينقلب إلى أهله مسرورا) أي ويرجع إلى أهله في الجنة ، قاله قتادة والضحاك : مسرورا أي فرحا منتبها بما أعطاه الله عز وجل . وقد روى الطبراني عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أنه قال إنكم تعملون أعمالا لاتعرف ويوشك الغائب أن يثوب إلى أهله مسرورا أو مكظوم ، وقوله تعالى (وأما من أوتي كتابه وراء ظهره) أي بشاله من وراء ظهره ثنى يده إلى ورائه ويعطى كتابه بها كذلك (فسوف يدعو ثبورا) أي خسارا وهلاك (ويصلى سعيرا * إنه كان في أهله مسرورا) أي فرحا لا يفكر في العواقب ولا يخاف مما أمامه فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل (إنه ظن أن لن يحور) أي كان يعتقد أنه لا يرجع إلى الله ولا يعيده بعد موته قاله ابن عباس وقاتة وغيرهما ، والحور هو الرجوع قال الله (بلى إن ربه كان به بصيرا) يعني بلى سعيده الله كما بدأه ويحازيه على أعماله خيرا وشرا فإنه كان به بصيرا أي عليا خيرا

﴿ فَلَا أَسْمُ بِالْشَّفَقِ * وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ * وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ * لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ * فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ * وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ * فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾

روى عن طى وابن عباس وعبادة بن الصامت وأبي هريرة وشداد بن أوس وابن عمر ومحمد بن طى بن الحسين ومكحول وبكر بن عبد الله المزني وبكير بن الأشج ومالك وابن أبي ذئب وعبد العزيز بن أبي سلمة اللاجشون أنهم قالوا المشفق الحمرة وقال عبد الرزاق عن معمر ابن خثيم عن ابن لبيبة عن أبي هريرة قال الشفق البياض ، فالشفق هو حمرة الأفق إما قبل طلوع الشمس كما قاله مجاهد وإما بعد غروبها كما هو معروف عند أهل اللغة . قال الخليل بن أحمد : الشفق الحمرة من غروب الشمس إلى وقت المشاء الآخرة فإذا ذهب قيل غاب الشفق . وقال الجوهري : الشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها في أول الليل إلى قريب من العتمة وكذا قال عكرمة الشفق الذى يكون بين المغرب والعشاء وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ أنه قال « وقت للمغرب ما لم يغب الشفق » ففى هذا كله دليل على أن الشفق هو كما قاله الجوهري والخليل . ولكن صح عن مجاهد أنه قال فى هذه الآية (فلا أسمى بالشفق) هو النهار كله وفى رواية عنه أيضا أنه قال الشفق الشمس رواها ابن أبي حاتم ، وأما حملة على هذا قرنه بقوله تعالى (والليل وما وسق) أى جمع كأنه أسمى بالضياء والظلام وقال ابن جرير : أسمى الله بالنهار مدبرا وبالليل مقبلا . وقال ابن جرير : وقال آخرون الشفق اسم للحمرة والبياض وقالوا هو من الأضداد . قال ابن عباس ومجاهد والحسن وقاتة (وما وسق) وما جمع قال قتادة وما جمع من نجم ودابة واستشهد ابن عباس بقول الشاعر :

* مستوسقات لو يحدن ساقها *

قد قال عكرمة (والليل وما وسق) يقول ماساق من ظلمة إذا كان الليل ذهب كل شيء إلى مأواه ، وقوله تعالى (والقمر إذا اتسق) قال ابن عباس إذا اجتمع واستوى وكذا قال عكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير ومسروق وأبو صالح والضحاك وابن زيد (والقمر إذا اتسق) إذا استوى . وقال الحسن إذا اجتمع إذا امتلا وقال قتادة إذا استدار ومعنى كلامهم أنه إذا تكامل نوره وأبدر جعله مقابلا ليل وما وسق ، وقوله تعالى (لتركبن طبقا عن طبق) قال للبخارى أخبرنا سعيد بن النضر أخبرنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن مجاهد قال : قال ابن عباس (لتركبن طبقا عن طبق) حالا بعد حال قال هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم ، هكذا رواه البخارى بهذا اللفظ ، وهو محتمل أن يكون ابن عباس أسند هذا التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم كأنه قال سمعت هذا من نبيكم صلى الله عليه وسلم فيكون

قوله نبيكم مرفوعا على الفاعلية من قال وهو الأظهر والله أعلم كما قال أنس : لا يأتي عام إلا والذي بعده شر منه سمعته من نبيكم ﷺ . وقال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن مجاهد أن ابن عباس كان يقول (لتركبن طبقا عن طبق) قال يعني نبيكم ﷺ يقول حالا بعد حال ، هذا لفظه ، وقال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس طبقا عن طبق حالا بعد حال . وكذا قال عكرمة ومرة والطيب ومجاهد والحسن والضحاك ومسروق وأبو صالح ويحتمل أن يكون المراد (لتركبن طبقا عن طبق) حالا بعد حال ، قال هذا يعني المراد بهذا نبيكم ﷺ فيكون مرفوعا على أن هذا ونبيكم يكونان مبتدأ وخبر والله أعلم ولعل هذا قد يكون هو المتبادر إلى كثير من الرواة كما قال أبو داود الطيالسي وغندر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (لتركبن طبقا عن طبق) قال : محمد ﷺ ، ويؤيد هذا المعنى قراءة عمر وابن مسعود وابن عباس وعامة أهل مكة والكوفة لتركبن بفتح التاء والباء . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن إسماعيل عن الشعبي (لتركبن طبقا عن طبق) قال : لتركبن يا محمد ساء بعد ساء . وهكذا روى عن ابن مسعود ومسروق وأبي العالية (طبقا عن طبق) ساء بعد ساء ﴿ قلت ﴾ يمتنون ليلة الإسراء ؟ وقال أبو إسحاق والسدي عن رجل عن ابن عباس (طبقا عن طبق) منزلا على منزل ، وكذا رواه العوفي عن ابن عباس مثله وزاد ويقال أمرا بعد أمر وحالا بعد حال ، وقال السدي نفسه (لتركبن طبقا عن طبق) أعمال من قبلكم منزلا بعد منزل ﴿ قلت ﴾ كأنه أراد معنى الحديث الصحيح « لتركبن سنن من كان قبلكم حذوا القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » قالوا يا رسول الله : اليهود والنصارى قال « فن ؟ » وهذا محتمل

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة حدثنا ابن جابر أنه سمع مكحولاً يقول في قول الله (لتركبن طبقا عن طبق) قال في كل عشرين سنة تمحدثون أمرا لم تكونوا عليه وقال الأعمش حدثنا إبراهيم قال : قال عبد الله (لتركبن طبقا عن طبق) قال السماء تنشق ثم تمهر ثم تكون لونا بعد لون . قال الثوري عن قيس بن وهب عن مرة عن ابن مسعود (طبقا عن طبق) قال السماء مرة كالدهان ومرة تنشق وروى البراز من طريق جابر الجعفي عن الشعبي عن علقمة عن عبد الله بن مسعود (لتركبن طبقا عن طبق) يا محمد يعني حالا بعد حال ، ثم قال ورواه جابر عن مجاهد عن ابن عباس وقال سعيد بن جبير (لتركبن طبقا عن طبق) قال قوم كانوا في الدنيا خسيس أمرهم فارتفعوا في الآخرة ، وآخرون كانوا أشرفا في الدنيا فانضعوا في الآخرة ، وقال عكرمة (طبقا عن طبق) حالا بعد حال فعليا بعد ما كان رضيعا ، وشيخا بعد ما كان شابا ، وقال الحسن البصري (طبقا عن طبق) يقول حالا بعد حال ، رخاء بعد شدة وشدة بعد رخاء ، وغنى بعد فقر . وقفرا بعد غنى ، وصحة بعد سقم ، وسقما بعد صحة ، وقال ابن أبي حاتم ذكر عن عبد الله بن زاهر حدثني أبي عن عمرو بن شمر عن جابر هو الجعفي عن محمد بن طي عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن ابن آدم لفي غفلة مما خلق له إن الله تعالى إذا أراد خلقه قال للملك اكتب رزقه اكتب أجله اكتب أثره . اكتب شقيا أو سعيدا . ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث الله إليه ملكا آخر فيحفظه حتى يدرك ثم يرتفع ذلك الملك ثم يوكل الله به ملكين يكتبان حسناته وسيئاته فإذا حضره الموت ارتفع ذاك الملك وجاءه ملك الموت فقبض روحه فإذا دخل قبره رد الروح في جسده ثم ارتفع ملك الموت وجاءه ملكا القبر فامتحناه ثم يرتفعان فإذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات فانتشطا كتابا معقودا في عنقه ثم حضرا معه واحدا ساتما وآخر شهيدا ثم قال الله تعالى (لقد كنت في غفلة من هذا) » قال رسول الله ﷺ (لتركبن طبقا عن طبق) قال « حالا بعد حال » ثم قال النبي ﷺ « إن قدامكم لأمر عظيم لا تقدرونه فاستعينوا بالله العظيم » هذا حديث منكر وإسناده فيه ضعف ولكن معناه صحيح والله سبحانه وتعالى أعلم

ثم قال ابن جرير بعد ما حكى أقوال الناس في هذه الآية من القراء والمفسرين : والصواب من التأويل قول من قال لتركبن أنت يا محمد حالا بعد حال وأمر بعد أمر من الشدائد والمراد بذلك وإن كان الخطاب موجها إلى رسول الله

عليه السلام جميع الناس وأنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأحواله أهوالا ، وقوله تعالى (فما لهم لا يؤمنون وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) أى فماذا يمنعهم من الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر وما لهم إذا قرئت عليهم آيات الله وكلامه وهو هذا القرآن لا يسجدون اعظاما واکراما واحتراما وقوله تعالى (بل الذين كفرا يكذبون) أى من سجيبتهم التكذيب والعناد والمخالفة للحق (والله أعلم بما يعنون) قال مجاهد وقتادة يكتمون فى صدورهم (فبشرهم بعذاب أليم) أى فأخبرهم يا محمد بأن الله عز وجل قد أعد لهم عذابا ألما وقوله تعالى (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) هذا استثناء منقطع يعنى لكن الذين آمنوا أى بقلوبهم وعملوا الصالحات أى بجوارحهم (لهم أجر) أى فى الدار الآخرة (غير ممنون) قال ابن عباس غير منقوص ، وقال مجاهد والضحاك غير محسوب وحاصل قولها أنه غير مقطوع كما قال تعالى (عطاء غير مجدود) وقال السدى قال بعضهم غير ممنون غير منقوص ، وقال بعضهم غير ممنون عليهم وهذا القول الأخير عن بعضهم قد أنكروه غير واحد فإن الله عز وجل له المنة على أهل الجنة فى كل حال وآن ولحظة وإنما دخلوها بفضلهم ورحمته لا بأعمالهم فله عليهم المنة دائما سرمدا والحمد لله وحده أبدا ولهذا يلهمون تسيحه وتحميده كما يلهمون النفس ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين . آخر تفسير سورة الانشقاق والله الحمد والمنة وبه التوفيق والمعصمة

(تفسير سورة البروج وهى مكية)

قال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا زريق بن أبى سلمة حدثنا أبو المهزم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فى العشاء الآخرة بالسما ذات البروج والسما والطارق . وقال أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا حماد بن عباد السدوسى سمعت أبا المهزم يحدث عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ أمر أن يقرأ بالسماوات فى العشاء ، تفرد به أحمد

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ * قَتِيلٍ أَمْحَبٍ الْأَيْخُدُودِ * النَّسَارِ ذَاتِ الْوُقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ * وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِنْ لَمْ يَقُولُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ * وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلْحَرِيقِ)

يقسم تعالى بالسما وبروجها وهى النجوم العظام كما تقدم بيان ذلك فى قوله تعالى (تبارك الذى جعل فى السما بروجها وجعل فيها سراجا وقمرنا منيرا) قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والحسن وقتادة والسدى : البروج النجوم وعن مجاهد أيضا البروج التى فيها الحرس وقال يحيى بن رافع : البروج قصور فى السما ، وقال المنهال بن عمرو (والسما ذات البروج) الخلق الحسن واختار ابن جرير أنها منازل الشمس والقمر وهى اثنا عشر برجا تسير الشمس فى كل واحد منها شهرا ويسير القمر فى كل واحد منها يومين وثلاثا فذلك ثمانية وعشرون منزلة ويستسر ليلتين ، وقوله تعالى (واليوم للوعود وشاهد ومشهود) اختلف الفسرون فى ذلك . وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا عبد الله بن محمد ابن عمرو الغزى حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد بن صفوان بن أوس الأنصارى عن عبد الله بن رافع عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « (واليوم للوعود) يوم القيامة (وشاهد) يوم الجمعة وما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه إياه ولا يستعبد فيها من شر إلا أطأه (ومشهود) يوم عرفة » وهكذا روى هذا الحديث ابن خزيمة من طرق عن موسى بن عبيدة الربذى وهو ضعيف الحديث وقد روى موقوفا على أبى هريرة وهو أشبه

وقال الإمام أحمد حدثنا محمد حدثنا شعبة سمعت علي بن زيد ويونس بن عبيد يحدثان عن عمار مولى بني هاشم عن أبي هريرة أما علي فرفعه إلى النبي ﷺ وأما يونس فلم يعد أبا هريرة أنه قال في هذه الآية (وشاهد ومشهود) قال يعنى الشاهد يوم الجمعة ويوم مشهود يوم القيامة وقال أحمد أيضا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن يونس سمعت عمارا مولى بني هاشم يحدث عن أبي هريرة أنه قال في هذه الآية (وشاهد ومشهود) قال الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة والموعد يوم القيامة . وقد روى عن أبي هريرة أنه قال اليوم للوعود يوم القيامة وكذلك قال الحسن وقتادة وابن زيد ولم أرهم يختلفون في ذلك وثقه الحمد ثم قال ابن جرير حدثنا محمد بن عوف حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش حدثني أبي حدثنا ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ « اليوم للموعد يوم القيامة وإن الشاهد يوم الجمعة وإن للمشهود يوم عرفة ويوم الجمعة ذخره الله لنا » ثم قال ابن جرير حدثنا سهل بن موسى الرازي حدثنا ابن أبي فديك عن ابن حرملة عن سعيد بن المسيب أنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن سيد الأيام يوم الجمعة وهو الشاهد والمشهود يوم عرفة » . وهذا مرسل من مراسيل سعيد بن المسيب ، ثم قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن شعبة عن علي بن زيد عن يوسف المكي عن ابن عباس قال : الشاهد هو محمد ﷺ والمشهود يوم القيامة ، ثم قرأ (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) وحدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن مغيرة عن شبك قال سألت رجل الحسن بن علي عن (وشاهد ومشهود) قال سألت أحدا قبلي ؟ قال نعم سألت ابن عمر وابن الزبير فقالا : يوم الدين ويوم الجمعة ، فقال لا ، ولكن الشاهد محمد ﷺ ثم قرأ (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) والمشهود يوم القيامة ثم قرأ (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) وهكذا قال الحسن البصري وقال سفيان الثوري عن ابن حرملة عن سعيد بن المسيب : ومشهود يوم القيامة وقال مجاهد وعكرمة والضحاك الشاهد ابن آدم والمشهود يوم القيامة وعن عكرمة أيضا الشاهد محمد ﷺ والمشهود يوم الجمعة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الشاهد الله والمشهود يوم القيامة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين حدثنا سفيان عن أبي يحيى القنات عن مجاهد عن ابن عباس (وشاهد ومشهود) قال الشاهد الإنسان والمشهود يوم الجمعة هكذا رواه ابن أبي حاتم

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس (وشاهد ومشهود) الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم القيامة ، وبه عن سفيان الثوري عن مغيرة عن إبراهيم قال يوم الدين ويوم عرفة يعنى الشاهد والمشهود قال ابن جرير وقال آخرون المشهود يوم الجمعة ورووا في ذلك ما حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثني عمي عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أيمن عن عباد بن نسي عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ « أكثروا على من الصلاة يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهد الملائكة » وعن سعيد بن جبيرة الشاهد الله وتلا (وكفى بالله شهيدا) والمشهود نحن ، حكاه البغوي ، وقال : الأكثرون على أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة . وقوله تعالى (قتل أصحاب الأخدود) أى لعن أصحاب الأخدود وجمعه أخايد وهى الحفر فى الأرض وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله عز وجل قهروهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم فأبوا عليهم فحفروا لهم فى الأرض أخدودا وأججوا فيه نارا وأعدوا لها وقودا يسعرونها به ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم فقد فوهم فيها ولهذا قال تعالى (قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود * إذ هم عليها قعود * وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) أى مشاهدون لما يفعل بأولئك المؤمنين . قال الله تعالى (وما تعلموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) أى وما كان لهم عندهم ذنب إلا إيمانهم بالله العزيز الذى لا ينام من لاذ بجناحه النبع الحميد فى جميع أقواله وأفعاله وشرعه وقدره وإن كان قد قدر على عباده هؤلاء هذا الذى وقع بهم بأيدي الكفار به فهو العزيز الحميد وإن خفى سبب ذلك . على كثير من الناس . ثم قال تعالى (الذى له ملك السموات والأرض) من تمام الصفة أنه المالك لجميع السموات والأرض وما فيها وما بينهما (والله على كل شىء شهيد) أى لا ينسب عنه شىء فى جميع السموات

والأرض ولا تخفى عليه خافية . وقد اختلف أهل التفسير في أهل هذه القصة من هم ؟ فعن علي أنهم أهل فارس حين أراد ملكهم تحليل تزويج المحارم فامتنع عليه علماءهم فعمد إلى حفر أخدود فقفذ فيه من أنكر عليه منهم واستمر فيهم تحليل المحارم إلى اليوم . وعنه أنهم كانوا قوماً باليمن اقتتل مؤمنوهم ومشركوهم فغلب مؤمنوهم على كفارهم ثم اقتتلوا فغلب الكفار المؤمنين فخذوا لهم الأخاديد وأحرقوهم فيها ، وعنه أنهم كانوا من أهل الحبشة واحد منهم حبشي ، وقال العوفي عن ابن عباس (قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود) قال ناس من بني إسرائيل خدوا أخدوداً في الأرض ثم أوقدوا فيه ناراً ثم أقاموا على ذلك الأخدود رجالاً ونساء فعرضوا عليها وزعموا أنه دانيال وأصحابه وهكذا قال الضحاك بن مزاحم وقيل غير ذلك وقد قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كان فيمن كان قبلكم ملك وكان له ساحر فلما كبر الساحر قال للملك إني قد كبر سني وحضر أجلي فادفع إلي غلاماً لأعلمه السحر فدفع إليه غلاماً كان يعلمه السحر وكان بين الساحر وبين الملك راهب فأتى الغلام على الراهب فسمع من كلامه فأعجبه نحوه وكلامه وكان إذا أتى الساحر ضربه وقال ما حبسك وإذا أتى أهله ضربوه وقالوا ما حبسك فشكا ذلك إلى الراهب فقال إذا أراد الساحر أن يضربك قتل حبسني أهلي وإذا أراد أهلك أن يضربوك قتل حبسني الساحر قال فيينا هو ذات يوم إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا فقال اليوم أعلم أمر الراهب أحب إلى الله أم أمر الساحر ، قال فأخذ حجراً فقال اللهم إني كان أمر الراهب أحب إليك وأرضى من أمر الساحر فقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس وربما قتلها ومضى الناس فأخبر الراهب بذلك فقال أي بني أنت أفضل مني وإنك سببتني فإن ابتليت فلا تدل علي ، فكان الغلام يبرئ الأكمة والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم ، وكان للملك جليس فعلم فسمع به فأتاه بهدايا كثيرة فقال اشفي ولك ما ههنا أجمع فقال ما أنا أشفي أحداً إنما يشفي الله عز وجل فإن آمنت به دعوت الله فشفاك فأمن فدعا الله فشفاه ، ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس فقال له الملك يا فلان من رد عليك بصرك ؟ فقال ربي ؟ فقال أنا ؟ قال لا ، ربي وربك الله ، قال ولك رب غيري ؟ قال نعم ربي وربك الله فلم يزل يعبده حتى دل على الغلام فبعث إليه فقال أي بني بلغ من سحرك أن تبرئ الأكمة والأبرص وهذه الادواء ؟ قال ما أشفي أحداً إنما يشفي الله عز وجل ، قال أنا ، قال لا . قال أولك رب غيري ؟ قال ربي وربك الله ، فأخذه أيضاً بالعذاب فلم يزل به حتى دل على الراهب فأتى الراهب فقال ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه ، وقال للأعمى : ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه إلى الأرض . وقال للغلام : ارجع عن دينك فأبى فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا وقال إذا بلغت ذروته فان رجع عن دينه وإلا فدهوه فدهوه به فلما علوا به الجبل قال : اللهم اكفنيهم بما شئت ، فرجف بهم الجبل فدهوهوا أجمعون وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك فقال ما فعل أصحابك ؟ فقال كفانيهم الله تعالى فبعث به مع نفر في قرقور فقال إذا لججت به البحر فان رجع عن دينه وإلا فخرقه في البحر فلججوا به البحر فقال الغلام : اللهم اكفنيهم بما شئت ففرقوا أجمعون وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال ما فعل أصحابك ؟ فقال كفانيهم الله تعالى ثم قال للملك : إنك لست بتقاتلي حتى تفعل ما أمرك به فإن أنت فعلت ما أمرك به قتلتني وإلا فانك لاتستطيع قتلي ، قال وما هو ؟ قال تجمع الناس في صعيد واحد ثم تصلبنى على جذع وتأخذ سهماً من كنانتي ثم قل باسم الله رب الغلام فانك إذا فعلت ذلك قتلتني . ففعل ووضع السهم في كبد قوسه ثم رماه وقال باسم الله رب الغلام فوقع السهم في صدغه فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات فقال الناس آمنا برب الغلام . فقيل للملك أرايت ما كنت تحذر ؟ فقد والله نزل بك قد آمن الناس كلهم ، فأمر بأفواه السكك فخذت فيها الأخاديد وأضمرت فيها النيران وقال من رجع عن دينه فدعوه وإلا فأحجموه فيها ، قال فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون فجاءت امرأة بابن لها ترضعه فكانها تقاعست ان تقع في النار فقال النبي : اصبري يا أمه فانك على الحق .

وهكذا رواه مسلم في آخر الصحيح عن هذبة بن خالد عن حماد بن سلمة بنحوه ، ورواه النسائي عن أحمد بن سلمان عن

عثمان عن حماد بن سلمة ومن طريق حماد بن زيد كلاهما عن ثابت به واختصروا أوله ، وقد جوده الإمام أبو عيسى الترمذى فرواه في تفسير هذه الصورة عن محمود بن غيلان وعبد بن حميد - المعنى واحد - قالوا: أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى العصر همس والهمس في بعض قولهم تحريك شفتيه كأنه يتكلم قليل له إنك يا رسول الله إذا صليت العصر همست قال « إن نبيا من الأنبياء كان أعجب بأمرته فقال من يقوم لهؤلاء . فأوحى الله إليه أن خيرهم بين أن أتقم منهم وبين أن أسلط عليهم عدوهم فاختروا النعمة فسلط الله عليهم الموت فمات منهم في يوم سبعون ألفا » قال وكان إذا حدث بهذا الحديث ، حدث بهذا الحديث الآخر قال : كان ملك من الملوك وكان لذلك الملك كاهن يتكهن له فقال الكاهن انظروا لى غلاما فهما أو قال فطنا لفتنا فأعلمه علمى هذا ، فذكر القصة بتامها وقال في آخره يقول الله عز وجل (قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود - حتى بلغ - العزيز الحميد) قال فأما الغلام فانه دفن فيذكر أنه أخرج في زمان عمر بن الخطاب واصبغه على صدغه كما وضعها حين قتل ، ثم قال الترمذى : حسن غريب ، وهذا السياق ليس فيه صراحة أن سياق هذه القصة من كلام النبي صلى الله عليه وسلم قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزى : فيحتمل أن يكون من كلام صهيب الرومى فانه كان عنده علم من أخبار النصارى والله أعلم . وقد أورد محمد بن إسحاق بن يسار هذه القصة في السيرة بسياق آخر فيها مخالفة لما تقدم فقال حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى وحدثني أيضاً بعض أهل نجران عن أهلها أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان وكان في قرية من قرىها قريبا من نجران - ونجران هي القرية العظمى التي إليها جماع أهل تلك البلاد - ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر فلما نزلها فيموت ولم يسموه لى بالاسم الذي سماه ابن منبه قالوا نزلها رجل فابتى خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي فيها الساحر وجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلمهم السحر فبعث التامر ابنه عبد الله بن التامر مع غلمان أهل نجران فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من عبادته وصلاته فجعل يجلس إليه ويسمع منه حتى أسلم فوحده الله وعبدته وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم وكان يعلمه فسكتمه إياه وقال له يا ابن أخي أنك لن تحمله أخشى ضعفك عنه والتامر أبو عبد الله لا يظن إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه وتخوف ضعفه فيه عمد إلى أقداح فجمعها ثم لم يبق لله اسماً يعلمه إلا كتبه في قدح لكل اسم قدح حتى إذا أحصاها أو قد ناراً ثم جعل يقدفها فيها قدحا قدحا حتى إذا مر بالاسم الأعظم قذف فيها بقدحه فوثب القدح حتى خرج منها لم يضره شيء فأخذه ثم أتى به صاحبه فأخبره أنه قد علم الاسم الأعظم الذي قد كتبه فقال وما هو ؟ قال هو كذا وكذا ، قال وكيف علمته ؟ فأخبره بما صنع فقال أي ابن أخي قد أصبته فأمسك على نفسك وما ظن أن تفعل فجعل عبد الله بن التامر إذا دخل نجران لم يلق أحداً به ضر إلا قال له يا عبد الله أتوحد الله وتدخل في ديني وأدعو الله لك فيعافيك بما أنت فيه من البلاد؟ فيقول نعم فيوحد الله ويسلم فيدعوا الله له فشفي حتى لم يبق بنجران أحد به ضر إلا أتاه فاتبعه على أمره ودعا له فعوفى حتى رفع شأنه إلى ملك نجران فدعاه فقال له أفسدت على أهل قريتي وخالفت ديني ودين آبائي لأمثلن بك ، قال لا تقدر على ذلك قال فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل فيطرح على رأسه فيقع إلى الأرض ما به بأس وجعل يبعث به إلى مياه نجران بحور لا يلقى فيها شيء إلا هلك فيلقى به فيها فيخرج ليس به بأس ، فلما غلبه قال له عبد الله بن التامر إنك والله لا تقدر على قتلى حتى تؤمن بما آمنت به وتوحد الله فانك إن فعلت سلطت على قمتلتي قال فوحد الله ذلك الملك وشهد شهادة عبد الله ابن التامر ثم ضربه بمصا في يده فشجه شجة غير كبيرة قتلته وهلك الملك مكانه واستجمع أهل نجران على دين عبد الله ابن التامر وكان على ما جاء به عيسى بن مريم عليه السلام من الإنجيل وحكمه ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الأحداث فن هنالك كان أصل دين النصرانية بنجران . قال ابن إسحاق فهذا حديث محمد بن كعب القرظى وبعض أهل نجران عن عبد الله بن التامر فانه أعلم أي ذلك كان ، قال فسار إليهم ذونواس بجندته فدعاهم إلى اليهودية وخيرهم بين ذلك أو القتل فاختروا القتل فخذوا الأخدود فحرق بالنار وقتل بالسيف ومثل بهم حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألفا فمضى ذى نواس وجنده

أنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ (قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود ، إذ هم عليها قعود ، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ، وما تعلموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ، الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد) هكذا ذكر محمد بن إسحاق في السيرة أن الذي قتل أصحاب الأخدود هو ذونواس واسمه زرعة ويسمى في زمان مملكته يوسف وهو ابن بيان أسعد أبي كريب وهو تبع الذي غزا المدينة وكسى الكعبة واستصحب معه حبرين من يهود المدينة فكان يهود من يهود من أهل اليمن على يديهما كما ذكره ابن إسحاق مبسوطة قتل ذونواس في غداة واحدة في الأخدود عشرين ألفا ولم ينج منهم سوى رجل واحد يقال له دوس ذو ثعلبان ذهب فارسا وطرردوا وراه فلم يقدر وراعيه فذهب إلى قيصر ملك الشام فكتب إلى النجاشي ملك الحبشة فأرسل معه جيشا من نصارى الحبشة يقدمهم أرباطا وبرهة فاستنقذوا اليمن من أيدي اليهود وذهب ذونواس هاربا فلجج في البحر ففرق واستمر ملك الحبشة في أيدي النصارى سبعين سنة ثم استنقذه سيف بن ذى يزن الحميري من أيدي النصارى لما استجاش بكسرى ملك الفرس فأرسل معه من في السجون فكانوا قريبا من سبعمائة ففتح بهم اليمن ورجع الملك إلى حمير وسند كرترا فامن ذلك إن شاء الله في تفسير سورة (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) وقال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أنه حدث أن رجلا من أهل نجران كان في زمان عمر بن الخطاب حفر خربة من خرب نجران لبعض حاجته فوجد عبد الله بن التامر تحت دفن فيها قاعدا واضعا يده على ضربة في رأسه ممسكا عليها بيده فإذا أخذت يده عنها تنبث دما ، وإذا أرسلت يده ردت عليها فأمسكت دمه وفي يده خاتم مكتوب فيه ربى الله فكتب فيه إلى عمر بن الخطاب يخبره بأمره فكتب عمر إليهم أن أفروه على حاله وردوا عليه الذي كان عليه ففعلوا . وقد قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا رحمه الله : حدثنا أبو بلال الأشعري حدثنا إبراهيم بن محمد عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب حدثني بعض أهل العلم أن أبا موسى لما افتتح أصبهان وجد حائطان من حيطان المدينة قد سقط فبناه فسقط ثم بناه فسقط فليل له إن تحته رجلا صالحا فحفر الأساس فوجد فيه رجلا قائما معه سيف فيه مكتوب أنا الحارث بن مضاخ نعمت على أصعب الأخدود فاستخرجه أبو موسى وبني الحائط ثبتت (قلت) هو الحارث بن مضاخ ابن عمرو بن مضاخ الجرهمي أحد ملوك جرهم الذين ولوا أمر الكعبة بعد ولد ثابت بن إسماعيل بن إبراهيم وولد الحارث هذا هو عمرو بن الحارث بن مضاخ هو آخر ملوك جرهم بمكة لما أخرجتهم خزاعة وأجلوهم إلى اليمن وهو القائل في شعره الذي قال ابن هشام إنه أول شعر قاله العرب

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العوائر

وهذا يقتضى أن هذه القصة كانت قديما بعد زمان إسماعيل عليه السلام بقرب من خمسمائة سنة أو نحوها وما ذكره ابن إسحاق يقتضى أن قصتهم كانت في زمن الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما من الله السلام وهو أشبه والله أعلم وقد يمتثل أن ذلك قد وقع في العالم كثيرا كما قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الليان أخبرنا صفوان عن عبد الرحمن بن جبير قال كانت الأخدود في اليمن زمان تبع وفي القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصارى قبلتهم عن دين المسيح والتوحيد فاتخذوا أتونا وألقى فيه النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد ، وفي العراق في أرض بابل بختنصر الذي صنع الصنم وأمر الناس أن يسجدوا له فامتنع دانيال وصاحبه عزريا وميشائيل فأوقد لهم أتونا وألقى فيه الحطب والنار ثم ألقاهما فيه فجعلها الله تعالى عليهما بردا وسلاما وأتقدهما منها وألقى فيها الذين بنوا عليه وهم تسعة رهط فأكلتهم النار . وقال أسباط عن السدي في قوله تعالى (قتل أصحاب الأخدود) قال كانت الأخدود ثلاثة : خد بالعراق ، وخذ بالشام ، وخذ باليمن . رواه ابن أبي حاتم ، وعن مقاتل قال كانت الأخدود ثلاثة : واحدة بنجران باليمن والأخرى بالشام والأخرى بفارس حرقوا بالنار أما التي بالشام فهو انطنانوس والرومي وأما التي بفارس فهو بختنصر ، وأما التي بأرض العرب فهو يوسف ذونواس فأما التي بفارس والشام فلم ينزل الله تعالى فيها قرآنا وأنزل في التي كانت بنجران ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الدمشقي حدثنا عبد الله بن

أبي جعفر عن أبيه عن الربيع هو ابن أنس في قوله تعالى (قتل أصحاب الأخدود) قال سمعنا منهم كانوا قومًا في زمان الفترة فلما رأوا ما وقع في الناس من الفتنه والشر وصاروا أحزابًا كل حزب بما لديهم فرحون اعزلوا إلى قرية سكنوها وأقاموا على عبادة الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فكان هذا أمرهم حتى جمع بهم جبار من الجبارين وحدث حديثهم فأرسل إليهم فأمرهم أن يعبدوا الأوثان التي اتخذوا وأنهم أبوا عليه كلهم وقالوا لا نعبد إلا الله وحده لا شريك له فقال لهم إن لم تعبدوا هذه الآلهة التي عبدت فاني قاتلكم فأبوا عليه فخذ أخدودًا من نار وقال لهم الجبار وقمهم عليها اختاروا هذه أو الذي نحن فيه فقالوا هذه أحب إلينا وفيهم نساء وذرية ففزعت الذرية فقالوا لهم أي آباؤهم لا نار من بعد اليوم فوقوا فيها فقبضت أرواحهم من قبل أن يمسم حرها وخرجت النار من مكائنها فأحاطت بالجبارين فأحرقهم الله بها ففي ذلك أنزل الله عز وجل (قتل أصحاب الأخدود * النار ذات الوقود * إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود * وما تمموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد * الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد) ورواه ابن جرير : حدثت عن عمار عن عبد الله بن أبي جعفر به نحوه . وقوله تعالى (إن الدين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) أي حرقوا قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن أبيزى (ثم لم يتوبوا) أي لم يقلعوا عما فعلوا ويندموا على ما أسلفوا (فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) وذلك أن الجزاء من جنس العمل قال الحسن البصري انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ * إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ * إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ * وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ * ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * قَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ * هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ * فِرْعَوْنٌ وَثمودَ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ * وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ * بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾

يغير تعالى عن عباده المؤمنين أن (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار) بخلاف ما أعد لأعدائه من الحريق والجحيم ولهذا قال (ذلك الفوز الكبير) ثم قال تعالى (إن بطش ربك لشديد) أي إن بطشه وانتقامه من أعدائه الله ين كذبوا رسله وخالفوا أمره لشديد عظيم قوى فانه تعالى ذو القوه اللتين الذى ماشاء كان كما يشاء فى مثل ملح البصر أو هو أقرب ولهذا قال تعالى (إنه هو يبدى ويعيد) أى من قوته وقدرته التامة يبدى الخلق ويعيده كما بدأه بلا ممانع ولا مدافع (وهو الغفور الودود) أى يغفر ذنب من تاب إليه وخضع لديه ولو كان الذنب من أى شيء كان ، والودود قال ابن عباس وغيره هو الحبيب (ذو العرش) أى صاحب العرش العظيم العالى على جميع الخلائق ، والمجيد فيه قرأتان الرفع على أنه صفة للرب عز وجل والجر على أنه صفة للعرش وكلاهما معنى صحيح (فعال لما يريد) أى مهما أراد فعله لا معقب لحكمه ولا يسئل عما يفعل لعظمته وقهره وحكمته وعدله كما روينا عن أبى بكر الصديق أنه قيل له وهو فى مرض الموت هل نظر إليك الطيب ؟ قال نعم . قالوا فما قال لك ؟ قال : قال لى إني فعال لما أريد وقوله تعالى (هل أتاك حديث الجنود * فرعون وثمود) أى هل بلغك ما أحل الله بهم من البأس وأنزل عليهم من النعمة التى لم يردوها عنهم أحد ؟ وهذا تقرير لقوله تعالى (إن بطش ربك لشديد) أى إذا أخذ الظالم أخذه أخذًا أليما شديدا أخذ عزيز مقتدر قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا على بن محمد الطنافسى حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبى إسحاق عن عمرو بن ميمون قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على امرأة تقرأ (هل أتاك حديث الجنود) فقام يستمع فقال « نعم قد جاءنى » وقوله تعالى (بل الذين كفروا فى تكذيب) أى هم فى شك وريب وكفر وعناد (والله من وراءهم محيط) أى هو قادر عليهم قاهر لا يفوتونه ولا يعجزونه (بل هو قرآن مجيد) أى عظيم كريم (فى لوح محفوظ) أى هو فى الملائكة الأعلی محفوظ

من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل . قال ابن جرير : حدثنا عمرو بن طي حدثنا قره بن سليمان حدثنا حرب بن شريح حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك في قوله تعالى (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) قال إن اللوح المحفوظ الذي ذكر الله (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) في جبهة إسرائيل . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو صالح ثمامة بن معاوية بن صالح أن أبا الأعصب هو عبد الرحمن بن سلمان قال : ما من شيء قضى الله : القرآن ، فما قبله وما بعده إلا وهو في اللوح المحفوظ واللوح المحفوظ بين عيني إسرائيل لا يؤذن له بالنظر فيه ، وقال الحسن البصري إن هذا القرآن المجيد عند الله في لوح محفوظ ينزل منه ما يشاء على من يشاء من خلقه وقد روى البغوي من طريق إسحاق بن بشر أخبرني مقاتل وابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال إن في صدر اللوح لا إله إلا الله وحده ، دينه الإسلام وحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسله أدخله الجنة قال : واللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض . وعرضه ما بين الشرق والغرب ، وحافته من الدر والياقوت ، ودفتاه ياقوتة حمراء وقلبه نور ، وكلامه معقود بالعرش وأصله في حجر ملك ، وقال مقاتل : اللوح المحفوظ عن يمين العرش وقال الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا منجاب بن الحارث حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا زياد بن عبد الله عن ليث عن عبد الملك بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال « إن الله تعالى خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء صفحاتها من ياقوتة حمراء قلبه نور وكتابه نور ، لله فيه في كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة ، يخلق ويرزق ويميت ويحيي ويمز ويذل ويفعل ما يشاء » . آخر تفسير سورة البروج والله الحمد والمنة

(تفسير سورة الطارق وهي مكية)

قال عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن محمد قال عبد الله وسمعت أنا منه حدثنا مروان بن معاوية الفزاري عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي عن عبد الرحمن بن خالد بن أبي جبل العدواني عن أبيه أنه أبصر رسول الله ﷺ في مشرق ثقيف وهو قائم على قوس أو عصي حين أتاهم بيتنغى عندهم النصر فسمعت يقول « والسماء والطارق » حتى ختمها قال فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك ثم قرأتها في الإسلام قال فدعتني ثقيف فقالوا ماذا سمعت من هذا الرجل ؟ فقرأتها عليهم فقال من معهم من قريش نحن أعلم بصاحبنا لو كنا نعلم ما يقول حقا لاتبعناه وقال النسائي حدثنا عمرو بن منصور حدثنا أبو نعيم عن مسعر عن محارب بن دثار عن جابر قال صلى معاذ المغرب فقرأ البقرة والنساء فقال النبي ﷺ « أفتان أنت يا معاذ ! ما كان يكفيك أن تقرأ بالسماء والطارق والشمس وضحاها ونحوها ؟ »

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النُّجُومُ الثَّاقِبُ *) إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَنَا عَلَيْهَا حَافِظٌ * فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ * يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ * فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ)

يقسم تبارك وتعالى بالسماء وما جعل فيها من الكواكب النيرة ولهذا قال تعالى (والسماء والطارق) ثم قال (وما أدراك ما الطارق) ثم فسره بقوله (النجم الثاقب) قال قتادة وغيره إنما سمى النجم طارقا لأنه إنما يرى بالليل ويختفي بالنهار ويؤيده ما جاء في الحديث الصحيح نهى أن يطرق الرجل أهله طروقا أي يأتيهم فجأة بالليل ، وفي الحديث الآخر المشتمل على الدعاء « إلا طارقا يطرق بغير يا رحمن » وقوله تعالى (الثاقب) قال ابن عباس المضي وقال السدي يتقب الشياطين إذا أرسل عليها وقال عكرمة هو مضيء ومحرق للشيطان وقوله تعالى (إن كل نفس لما عليها حافظ) أي كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات كما قال تعالى

(له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) . وقوله تعالى (فلينظر الإنسان مم خلق؟) تنبيه للإنسان على ضعف أصله الذي خلق منه وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد لأن من قدر على البداية فهو قادر على الاعادة بطريق الأولى كما قال تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) وقوله تعالى (خلق من ماء دافق) يعني المني يخرج دفقا من الرجل ومن المرأة فيتولد منهما الولد بإذن الله عز وجل ولهذا قال (يخرج من بين الصلب والترائب) يعني صلب الرجل وترائب المرأة وهو صدرها . وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس (يخرج من بين الصلب والترائب) صلب الرجل وترائب المرأة أصفر رقيق لا يكون الولد إلا منهما ، وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وقتادة والسدي وغيرهم ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن مسعر سمعت الحكم ذكر عن ابن عباس (يخرج من بين الصلب والترائب) قال هذه الترائب ووضع يده على صدره . وقال الضحاك وعطية عن ابن عباس تربية المرأة موضع القلادة ، وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير . وقال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الترائب بين ثدييها ، وعن مجاهد الترائب ما بين المنكبين إلى الصدر وعنه أيضا الترائب أسفل من التراقي ، وقال سفيان الثوري فوق الثديين وعن سعيد بن جبير الترائب أربعة أضلاع من هذا الجانب الأسفل . وعن الضحاك الترائب بين الثديين والرجلين والعينين ، وقال الليث بن سعد عن معمر بن أبي حبيبة المدني أنه بلغه في قول الله عز وجل (يخرج من بين الصلب والترائب) قال هو عصارة القلب من هناك يكون الولد . وعن قتادة (يخرج من بين الصلب والترائب) من بين صلبه ونحره وقوله تعالى (إنه على رجه لقادر) فيه قولان ﴿ أحدهما ﴾ على رجع هذا الماء الدافق إلى مقره الذي خرج منه لقادر على ذلك قاله مجاهد وعكرمة وغيرهما ﴿ والقول الثاني ﴾ إنه على رجع هذا الإنسان المخلوق من ماء دافق أي إعادته وبعثه إلى الدار الآخرة لقادر لأن من قدر على البداية قدر على الاعادة ، وقد ذكر الله عز وجل هذا الدليل في القرآن في غير ما موضع ، وهذا القول قال به الضحاك واختاره ابن جرير ولهذا قال تعالى (يوم تبلى السرائر) أي يوم القيامة تبلى فيه السرائر أي تظهر وتبدو ويبقى السر علانية والمكشون مشهورا ، وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « يرفع لكل غادر لواء عند استه يقال هذه غدره فلان بن فلان » وقوله تعالى (فوالله) أي الإنسان يوم القيامة (من قوة) أي في نفسه (ولا ناصر) أي من خارج منه أي لا يقدر على أن يتقذ نفسه من عذاب الله ولا يستطيع له أحد ذلك

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ * إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ * وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ * إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَهْمِلُهُمْ رُؤِيدًا ﴾

قال ابن عباس : الرجع المطر وعنه هو السحاب فيه المطر وعنه (والسما ذات الرجع) تمطر ثم تمطر وقال قتادة ترجع رزق العباد كل عام ولولا ذلك لهلكوا وهلكت مواشيهم ، وقال ابن زيد ترجع نجومها وشمسها وقرها يأتين من ههنا (والأرض ذات الصدع) قال ابن عباس هو انصداعها عن النبات وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وأبو مالك والضحاك والحسن وقتادة والسدي وغير واحد ، وقوله تعالى (إنه لقول فصل) قال ابن عباس : حق ، وكذا قال قتادة وقال آخر: حكم عدل (وما هو بالهزل) أي بل هو جد حق ، ثم أخبر عن الكافرين بأنهم يكذبون به ويصدون عن سيئه فقال (إنهم يكيدون كيدا) أي يمكرون بالناس في دعوتهم إلى خلاف القرآن ، ثم قال تعالى (فمهمل الكافرين) أي أنظرهم ولا تستعجل لهم (أمهلهم رويدا) أي قليلا أي وسترى ماذا أحل بهم من العذاب والنكال والعقوبة والمهلك كما قال تعالى (نعمتهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) . آخر تفسير سورة الطارق والله الحمد والمنة

تفسير سورة سبح وهي مكية

والدليل على ذلك ما رواه البخاري حدثنا عبدان أخبرني أبي عن شعبة عن أبي إسحق عن البراء بن عازب قال: أول

من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم فجعلنا يقرئنا القرآن ثم جاء عمار وبلال وسعد ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون هذا رسول الله ﷺ قد جاء فما جاء حتى قرأت (سبح اسم ربك الأعلى) في سور مثلها . وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا إسرائيل عن ثوير بن أبي فاختة عن أبيه عن علي رضي الله قال : كان رسول الله ﷺ يحب هذه السورة (سبح اسم ربك الأعلى) تفرد به أحمد . وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لعاذ « هلا صليت بسبح اسم ربك الأعلى ، والشمس وضحاها والليل إذا يغشى » . وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن أبيه عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في العيدين بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية وإن وافق يوم الجمعة قرأها جميعا . هكذا وقع في مسند الإمام أحمد إسناد هذا الحديث ، وقد رواه مسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث أبي عوانة وجريير وشعبة ثلاثهم عن محمد بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن النعمان بن بشير ، قال الترمذي وكذا رواه الثوري ومسر عن إبراهيم قال ورواه سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن عيينة عن حبيب بن سالم عن أبيه عن النعمان ولا يعرف لحبيب رواية عن أبيه وقد رواه ابن ماجه عن محمد بن الصباح عن سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن النعمان به كما رواه الجماعة فالحمد لله أعلم ، ولفظ مسلم وأهل السنن كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية وربما اجتمعا في يوم واحد قراهما . وقد روى الامام أحمد في مسنده من حديث أبي بن كعب وعبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن أبيزى وعائشة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الأعلى وقل يا أيها الكافرون ، وقل هو الله أحد زادت عائشة والعموديين . وهكذا روى هذا الحديث من طريق جابر وأبي أمامة صدى بن عجلان وعبد الله بن مسعود وعمران بن حصين وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، ولولا خشية الاطالة لأوردنا ما تيسر لنا من أسانيد ذلك ومتونه ولكن في الارشاد بهذا الاختصار كفاية والله أعلم

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ سَبَّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى * وَالَّذِي أخرجَ الْمَرْعَى * فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى * سُنُقَرُكَ فَلَا تَنْسَى * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى * وَنُيَسَّرُ لِكَبْرِى * فَذَكَّرْ إِنْ نَفَعَتِ الدُّكْرَى * سَيْدًا كَرُمًا يَخْشَى * وَيَتَجَبَّبَهَا الْأَشْقَى * الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى * ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا موسى يعني ابن أيوب الغافقي حدثنا عمي إياس بن طاهر سمعت عقبة ابن عامر الجهني لما نزلت (سبح باسم ربك العظيم) قال لنا رسول الله ﷺ « اجعلوها في ركوعكم » فلما نزلت (سبح اسم ربك الأعلى) قال « اجعلوها في سجودكم » ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث ابن المبارك عن موسى بن أيوب به . وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ (سبح اسم ربك الأعلى) قال « سبحان ربى الأعلى » وهكذا ورواه أبو داود عن زهير بن حرب عن وكيع به قال وخولف فيه وكيع رواه أبو وكيع وشعبة عن أبي إسحاق عن سعيد عن ابن عباس موقوفا . وقال الثوري عن السدي عن عبد خير قال سمعت عليا قرأ (سبح ربك الأعلى) فقال: سبحان ربى الأعلى . وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا حكام عن عنبسة عن أبي إسحاق الهمداني أن ابن عباس كان إذا قرأ (سبح اسم ربك الأعلى) يقول سبحان ربى الأعلى وإذا قرأ (لا أقسم بيوم القيامة) فأتى

على آخرها (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) يقول سبحانه وبلى ، وقال قتادة (سبح اسم ربك الأعلى) ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان إذا قرأها قال : سبحان ربى الأعلى ، وقوله تعالى (الذى خلق الفلق) وسوى كل مخلوق فى أحسن الهيئات . وقوله تعالى (والذى قدر فهدى) قال مجاهد : هدى الإنسان للشقاوة والسعادة وهدى الأنعام لمراتعها وهذه الآية كتوبه تعالى إخبارا عن موسى أنه قال لفرعون (ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) أى قدر قدرا وهدى الخلائق اليه كما ثبت فى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال « إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بمئتين ألف سنة وكان عرشه على الماء » وقوله تعالى (والذى أخرج المرعى) أى من جميع صنوف النباتات والزرع (فجعله غثاء أحوى) قال ابن عباس هشيا متغيرا وعن مجاهد وقاتدة وابن زيد نحوه . قال ابن جرير وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يرى أن ذلك من المؤخر الذى معناه التقديم وأن معنى الكلام والذى أخرج المرعى ، أحوى أخضر إلى السواد فجعله غثاء بعد ذلك ثم قال ابن جرير وهذا وإن كان محتملا إلا أنه غير صواب لمخالفته أقوال أهل التأويل . وقوله تعالى (سنقرئك) أى يا محمد (فلاتنسى) وهذا إخبار من الله تعالى ووعد منه . بأن يسيقرته قراءة لا ينساها (إلا ما شاء الله) وهذا اختيار ابن جرير وقال قتادة : كان رسول الله ﷺ لا ينسى شيئا إلا ما شاء الله وقيل المراد بقوله (فلاتنسى) طلب وجعلوا معنى الاستثناء على هذا ما يقع من النسخ أى لاتنسى ما نقرئك إلا ما شاء الله رفعه فلا عليك أن تتركه . وقوله تعالى (انه يعلم الجهر وما يخفى) أى يعلم ما يجهر به العباد وما يخافونه من أفعالهم وأفعالهم لا يخفى عليه من ذلك شيء وقوله تعالى (ونيسرك للنيسرى) أى نسهل عليك أفعال الخير وأقواله ونشرع لك شرعا سهلا ممحا مستقيما عدلا لا اعوجاج فيه ولا حرج ولا عسر . وقوله تعالى (فذكر إن نعمت الذكري) أى ذكر حيث تنفع التذكرة ، ومن ههنا يؤخذ الأدب فى نشر العلم فلا يضعه عند غير أهله كما قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه : ما أنت بمحدث قوما حديثا لاتبلغه عقولهم الا كان فتنة لبعضهم ، وقال : حدث الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله ، وقوله تعالى (سيدكر من يخشى) أى سيعتظ بما تبلغه يا محمد من قلبه يخشى الله ويعلم أنه ملاقيه (ويتجنبها الأشقى * الذى يصلى النار الكبرى * ثم لا يموت فيها ولا يحيى) أى لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه بل هى مضرة عليه لأن بسببها يشعر ما يقاب به من أليم العذاب وأنواع النكال قال الإمام أحمد حدثنا ابن أبي عدى عن سليمان بن يحيى التيمي عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « أما أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون ولا يحيون وأما أناس يريد الله بهم الرحمة فيميتهم فى النار فيدخل عليهم الشفعاء فيأخذ الرجل الضبارة فينبتهم - أوقال - ينبتون - فى نهر الحيا - أوقال الحيا - أوقال الحيوان - أوقال نهر الجنة فينبتون - نبات الحبة فى حميل السيل » قال وقال : النبى صلى الله عليه وسلم « أما ترون الشجرة تكون خضراء ثم تكون صفراء ثم تكون خضراء ؟ » قال : فقال بعضهم كأن النبى صلى الله عليه وسلم كان بالبادية . وقال أحمد أيضا حدثنا إسماعيل حدثنا سعيد بن يزيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما أهل النار الذين هم أهلها فأنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن أناس - أوقال قال - تصيبهم النار بذنوبهم - أوقال بخطاياهم - فيميتهم إماتة حتى إذا صاروا فحما أذن فى الشفاعة فجاء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة فيقال يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون فى حميل السيل » قال : فقال رجل من القوم حينئذ كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بالبادية ، ورواه مسلم من حديث بشر بن المفضل وشعبة كلاهما عن أبي سلمة سعيد بن يزيد به مثله ورواه أحمد أيضا عن يزيد عن سعيد بن إباص الجريرى عن أبي نضرة عن أبي سعيد عن النبى ﷺ قال « إن أهل النار الذين لا يريد الله إخراجهم لا يموتون فيها ولا يحيون وإن أهل النار الذين يريد الله إخراجهم يميتهم فيها إماتة حتى يصيروا فحما ثم يخرجون ضبائر فيلقون على أنهار الجنة فيرش عليهم من أنهار الجنة فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل » . وقد قال الله تعالى إخبارا عن أهل النار (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ما كنون) وقال تعالى (لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) إلى غير ذلك من

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى * بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةَ خَيْرًا وَأَبْقَى *
إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾

يقول تعالى (قد أفلح من تزكى) أى طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة وتابع ما أنزل الله على الرسول صلوات الله وسلامه عليه (وذكر اسم ربه فصلى) أى أقام الصلاة فى أوقاتها ابتغاء رضوان الله وطاعة لأمر الله وامتنالا لشرع الله . وقد قال الحافظ أبو بكر البرزاري حدثنا عباد بن أحمد العزمي حدثنا عمي محمد بن عبد الرحمن عن أبيه عن عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم (قد أفلح من تزكى) قال « من شهد أن لا إله إلا الله وخلع الأنداد وشهد أنى رسول الله » (وذكر اسم ربه فصلى) قال « هى الصلوات الخمس والمحافظة عليها والاهتمام بها » ثم قال لا يروى عن جابر إلا من هذا الوجه وكذا قال ابن عباس ان المراد بذلك الصلوات الخمس واختاره ابن جرير . وقال ابن جرير حدثني عمرو بن عبد الحميد الايلي حدثنا مروان بن معاوية عن أبي خلدة قال دخلت على أبي العالية فقال لى إذا غدوت غدا إلى العيد فربى قال ففرت به فقال هل طعمت شيئا ؟ قلت نعم قال أفضت على نفسك من الماء ؟ قلت نعم قال فأخبرنى ما فعلت زكأتك ؟ قلت قد وجهتها قال إنما أردت لك لهذا ثم قرأ (قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى) وقال إن أهل المدينة لا يرون صدقة أفضل منها ومن سقاية الماء ﴿ قلت ﴾ وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه كان يأمر الناس باخراج صدقة الفطر ويتلو هذه الآية (قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى) وقال أبو الأحوص إذا أتى أحدكم سائل وهو يريد الصلاة فليقدم بين يديه صلاته زكاة فان الله تعالى يقول (قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى) وقال قتادة فى هذه الآية (قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى) زكى ماله وأرضى خاله

ثم قال تعالى (بل تؤثرون الحياة الدنيا) أى تقدمونها على أمر الآخرة وتبدونها على ما فيه نفعكم وصلاحكم فى معاشكم ومعادكم (والآخرة خير وأبقى) أى ثواب الله فى الدار الآخرة خير من الدنيا وأبقى فان الدنيا دانية فانية والآخرة شريفة باقية فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى ويهتم بما يزول عنه قريبا ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد . قال الإمام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا دويد عن أبي إسحاق عن عروة عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدنيا دار من لادار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له » وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا أبو حمزة عن عطاء بن عرفة الثقفى قال : استقرأت ابن مسعود (سبح اسم ربك الأعلى - فلما بلغ - بل تؤثرون الحياة الدنيا) ترك القراءة وأقبل على أصحابه وقال آثرنا الدنيا على الآخرة فسكت القوم فقال آثرنا الدنيا لأننا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها وزويت عنا الآخرة فأخترنا هذا العاجل وتركنا الآجل ، وهذا منه على وجه التواضع والمصم أو هو إخبار عن الجنس من حيث هو والله أعلم . وقد قال الإمام أحمد حدثنا سليمان بن داود الهاشمي حدثنا إسماعيل بن جعفر أخبرني عمرو بن عمرو بن أبي عمرو عن الطلب بن عبد الله عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال « من أحب دنياه أضر بآخرته ، ومن أحب آخرته أضر بدنيته فأثروا ما يبقى على ما يفنى » تفرد به أحمد ، وقد رواه أيضا عن أبي سلمة الخزاز عن الدراوردي عن عمرو بن أبي عمرو به مثله سواء ، وقوله تعالى (إن هذا لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى) قال الحافظ أبو بكر البرزاري حدثنا نصر بن علي حدثنا معمر بن سليمان عن أبيه عن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت (إن هذا لفي الصحف الأولى . صحف إبراهيم وموسى) قال النبي صلى الله عليه وسلم « كان كل هذا - أو كان هذا - فى صحف إبراهيم وموسى » ثم قال لانعلم أسند الثقات عن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس غير هذا وحديثنا آخر رواه مثل هذا

وقال النسائي أخبرنا زكريا بن يحيى أخبرنا نصر بن علي حدثنا العتمر بن سليمان عن أبيه عن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت (سبح اسم ربك الأعلى) قال كلها في صحف إبراهيم وموسى ، ولما نزلت (وإبراهيم الذي وفى) قال وفى إبراهيم (لا تزر وازرة وزر أخرى) يعنى أن هذا الآية كقوله تعالى في سورة النجم (أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى * ألا تزر وازرة وزر أخرى . وأن ليس للانسان إلا ماسى وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى . وأنت إلى ربك المنتهى) الآيات إلى آخرهن ، وهكذا قال عكرمة فما رواه ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن سفيان الثوري عن أبيه عن عكرمة في قوله تعالى (إن هذا لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى) يقول الآيات التي في سبح اسم ربك الأعلى ، وقال أبو العالية : قصة هذه السورة في الصحف الأولى ، واختار ابن جرير أن المراد بقوله إن هذا إشارة إلى قوله (قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى * بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى) ثم قال تعالى (إن هذا) أى مضمون هذا الكلام (لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى) وهذا الذى اختاره حسن قوى وقد روى عن قتادة وابن زيد نحوه والله أعلم . آخر تفسير سورة سبح ، والله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .

(تفسير سورة الغاشية وهى مكية)

قد تقدم عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بسبح اسم ربك الأعلى والغاشية في صلاة العيد ويوم الجمعة . وقال الإمام مالك عن ضمرة بن سعيد عن عبيد الله بن عبد الله أن الضحاك بن قيس سأل النعمان بن بشير بم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الجمعة مع سورة الجمعة ؟ قال : هل أتاك حديث الغاشية . ورواه أبو داود عن القعنبى والنسائي عن قتيبة كلاهما عن مالك به ، ورواه مسلم وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة عن ضمرة بن سعيد به .

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ النَّفْثِيَّةِ * وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خُشَعَةٌ * عامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ * آيَةٍ * لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ * لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ)

الغاشية من أسماء يوم القيامة . قاله ابن عباس وقاتدة وابن زيد لأنها تفسى الناس وتعمهم وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسى حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون قال : مر النبي ﷺ على امرأة تقرأ (هل أتاك حديث الغاشية) فقام يستمع ويقول « نعم قد جئني » . وقوله تعالى (وجوه يومئذ خاشعة) أى ذليلة قاله قتادة ، وقاله ابن عباس تخشع ولا ينفعها عملها وقوله تعالى (عاملة ناصبة) أى قد عملت عملاً كثيراً ونصبت فيه وصليت يوم القيامة ناراً حامية . قال الحافظ أبو بكر البرقاني حدثنا إبراهيم بن محمد المزكى حدثنا محمد بن إسحاق السراج حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا سيار حدثنا جعفر قال سمعت أبا عمران الجوني يقول مر عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بدير راهب قال فناداه ياراهب فأشرف قال فجعل عمر ينظر اليه ويبكى فقيل له يا أمير المؤمنين ما يبكيك من هذا ؟ قال ذكرت قول الله عز وجل في كتابه (عاملة ناصبة * تصلى ناراً حامية) فذاك الذى أبكاني . وقال البخارى قال ابن عباس (عاملة ناصبة) النصارى ، وعن عكرمة والسدى عاملة في الدنيا بالمعاصى ناصبة في النار بالعذاب والاهلاك ، قال ابن عباس والحسن وقاتدة (تصلى ناراً حامية) أى حارة شديدة الحرق (تسقى من عين آية) أى قدا تهبى حرها وغليانها قاله ابن عباس ومجاهد والحسن والسدى . وقوله تعالى (ليس لهم طعام إلا من ضريح) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس شجر من النار وقال سعيد بن جبير هو الزقوم وعنه أنها الحجارة ، وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو الجوزاء وقاتدة هو الشبرق ، قال قتادة : قريش تسميه في الربيع الشبرق وفي الصيف الضريح ؛ قال عكرمة وهو شجرة ذات شوكة لاطئة بالأرض . وقال البخارى قال مجاهد الضريح نبت يقال له الشبرق يسميه أهل الحجر الضريح

إذا يبس وهو سم ، وقال معمر عن قتادة (ليس لهم طعام إلا من ضريع) هو الشبرق إذا يبس مسمى الضريع ، وقال سعيد عن قتادة (ليس لهم طعام إلا من ضريع) من شر الطعام وأبشعه وأخبثه ؛ وقوله تعالى (لا يبسن ولا يغنى من جوع) يعني لا يحصل به مقصود ولا يندفع به محذور .

﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ * لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغْفِيَةٌ * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾

لما ذكر حال الأشقياء ثنى بذكر السعداء فقال (وجوه يومئذ) أى يوم القيامة (ناعمة) أى يعرف النعيم فيها وإنما حصل لها ذلك بسعيها ، وقال سفيان (لسعيها راضية) قد رضيت عملها . وقوله تعالى (فى الجنة عالية) أى رفيعة بهية فى العرفات آمنون (لاتسمع فيها لاغية) أى لاتسمع فى الجنة التى هم فيها كلمة لغو كما قال تعالى (لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما) وقال تعالى (لا لغو فيها ولا تأثيم) وقال تعالى (لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قبيلا سلاما سلاما) (فيها عين جارية) أى سارحة وهذه نكرة فى سياق الإثبات وليس المراد بها عينا واحدة وإنما هذا جنس يعنى فيها عيون جاريات . قال ابن أبي حاتم قرىء على الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا ابن ثوبان عن عطاء بن قررة عن عبد الله بن ضميرة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنهار الجنة تفجر من تحت تلال - أو من تحت جبال - المسك » (فيها سرر مرفوعة) أى عالية ناعمة كثيرة الفرش مرتفعة السمك عليها الحور العين قالوا فإذا أرادولى الله أن يجلس على تلك السرر العالية تواضعت له (وأكواب موضوعة) يعنى أوانى الشرب معدة مرصدة لمن أرادها من أربابها (ونمارق مصفوفة) قال ابن عباس النمارق الوسائد وكذا قال عكرمة وقاتدة والضحاك والسدى والثورى وغيرهم ، وقوله تعالى (وزرابي مبثوثة) قال ابن عباس الزرابى البسط وكذا قال الضحاك وغير واحد ، ومعنى مبثوثة أى ههنا وههنا لمن أراد الجلوس عليها ؛ ونذكر ههنا هذا الحديث الذى رواه أبو بكر بن أبى داود حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا أبى عن محمد بن مهاجر عن الضحاك الماعفرى عن سليمان بن موسى حدثنى كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول : قال رسول الله ﷺ « لأهل من مشمر للجنة فان الجنة لا خطر لها ، هى ورب الكعبة نور يتلأأ ، وريحانة تهز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وممره نفيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، ومقام فى أبدق دار سليمة ، وفاكهة وخضرة ، وحبيرة ونعمة ، فى محلة عالية بهية ؟ » قالوا نعم يارسول الله نحن للمشمرين لها ، قال « قولوا إن شاء الله » قال القوم إن شاء الله ، ورواه ابن ماجه عن العباس بن عثمان الدمشقى عن الوليد بن مسلم بن محمد بن مهاجر به

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ * فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيِّرٍ * إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ * فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ * إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾

يقول تعالى أمرا عباده بالنظر فى مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ؟) فانها خلق عجيب وتركيبها غريب فانها فى غاية القوة والشدة وهى مع ذلك تلين للحمل الثقيل وتتقاد للقائد الضعيف وتؤكل وينتفع بوبرها ويشرب لبنها ، ونهبوا بذلك لأن العرب غالب دوابهم كانت الإبل وكان شريح القاضي يقول اخرجوا بنا حتى ننظر إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت أى كيف رفسها الله عز وجل عن الأرض هذا الرفع العظيم كما قال تعالى (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج) (وإلى الجبال كيف نصبت) أى جعلت منصوبة فانها ثابتة راسية لئلا تعيد الأرض بأهلها ، وجعل فيها ما جعل من المنافع والمعادن (وإلى

الأرض كيف سطحت ١) أى كيف بسطت ومدت ومهدت فنه البدوى على الاستدلال بما يشاهده من بعيره الذى هو راكب عليه والسماء التى فوق رأسه والجبل الذى تجاهه والأرض التى تحته على قدرة خالق ذلك وصانعه وأنه الرب العظيم الخالق للملك المتصرف وأنه الإله الذى لا يستحق العبادة سواء ؛ وهكذا أقسم ضمام فى سؤاله على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال كنا نهيئنا أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شىء فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع فجاء رجل من أهل البادية فقال يا محمد إنه أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك ، قال « صدق » قال فمن خلق السماء ، قال « الله » قال فمن خلق الأرض ، قال « الله » قال فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل ، قال « الله » قال فبالذى خلق السماء والأرض ونصب هذه الجبال الله أرسلك ؟ قال « نعم » قال وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات فى يومنا وليلتنا ؟ قال « صدق » قال فبالذى أرسلك الله أمرك بهذا ؟ قال « نعم » قال وزعم رسولك أن علينا زكاة فى أموالنا ؟ قال « صدق » قال فبالذى أرسلك الله أمرك بهذا ؟ قال « نعم » قال وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا قال « صدق » قال ثم ولى فقال والذى بئسك بالحق لأزيد عليهن شيئا ولا أتقص منهن شيئا فقال النبى صلى الله عليه وسلم « إن صدق ليدخلن الجنة » وقد رواه مسلم عن عمرو الناقد عن أبى النضر هاشم بن القاسم به وعلقه البخارى ورواه الترمذى والنسائى من حديث سليمان بن المغيرة به ورواه الإمام أحمد والبخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث الليث بن سعد عن سعيد المقبرى عن شريك بن عبد الله ابن أبى نمر عن أنس به بطوله ، وقال فى آخره وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بنى سعد بن بكر وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا إسحاق حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنى عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما كان يحدث عن امرأة فى الجاهلية على رأس جبل معها ابن صغير لها ترعى غنما فقال لها ابنها يا أمه من خلقك ؟ قالت الله قال فمن خلق أبى : قالت الله ، قال فمن خلقتى قالت الله ، قال فمن خلق السماء : قالت الله قال فمن خلق الأرض ، قالت الله قال فمن خلق الجبل ؟ قالت الله قال فمن خلق هذه الغنم قالت الله قال فأبى لأسمع الله شأننا وألقى نفسه من الجبل فتقطع قال ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يحدثنا هذا . قال ابن دينار كان ابن عمر كثيرا ما يحدثنا بهذا فى إسناده ضعف وعبد الله بن جعفر هذا هو المدينى ضعفه ولده الامام على بن المدينى وغيره ، وقوله تعالى (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) أى فذكر يا محمد الناس بما أرسلت بهم إليهم (فإما عليك البلاغ وعلينا الحساب) ولهذا قال (لست عليهم بمسيطر) قال ابن عباس وعجابه وغيرهما (لست عليهم بجبار) أى لست مخلق الإيمان فى قلوبهم ، وقال ابن زيد لست بالذى تكبرهم على الإيمان قال الامام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن أبى الزبير عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل » ثم قرأ (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) وهكذا رواه مسلم فى كتاب الإيمان والترمذى والنسائى فى كتاب التفسير من سننهما من حديث سفيان بن سعيد الثورى به بهذه الزيادة . وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين من رواية أبى هريرة بدون ذكر هذه الآية ، وقوله تعالى (إلا من تولى وكفر) أى تولى عن العمل بأركانه وكفر بالحق بجنانه ولسانه وهذه كقوله تعالى (فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى) ولهذا قال (فيعذب الله العذاب الأكبر) قال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ليث عن سعيد بن أبى هلال عن على بن خالد أن أباه أمامة الباهلى مر على خالد بن يزيد بن معاوية فسأله عن ألبن كلمة سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ألا كلكم يدخل الجنة إلا من شرد على الله شراد البعير على أهله » فرد بإخراجه الامام أحمد وعلى بن خالد هذا ذكره ابن أبى حاتم عن أبيه ولم يزد على ما هنا روى عن أبى أمامة وعنه سعيد بن أبى هلال ، وقوله تعالى (إن إلينا إياهم) أى مرجعهم ومنقلبهم (ثم إن علينا حسابهم) أى نحن نحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم بها إن خيرا فخير وإن شرا فشر . آخر تفسير سورة العاشية ، والله الحمد والمنة .

(تفسير سورة الفجر وهي مكية)

قال النسائي أنا عبد الوهاب بن الحكم أخبرني يحيى بن سعيد عن سليمان بن محارب بن دثار وأبي صالح عن جابر قال صلى معاذ صلاة فجاء رجل فصلى معه فطول فصلى في ناحية المسجد ثم انصرف فبلغ ذلك معاذ فقال منافق فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فسأل النبي فقال يا رسول الله جئت أصلى معه فطول على فانصرفت وصليت في ناحية المسجد فعملت ناقى فقال رسول الله ﷺ « أفتان يامعاذ ؟ أين أنت من سبح اسم ربك الأعلى - والشمس وضحاها - والفجر - والليل إذا يغشى »

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

﴿ وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ * هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حَبْرِ * أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوِجْدِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَعَفُوا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْتَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْأَعْيُنِ صَادٍ ﴾

أما الفجر معروف وهو الصبح قاله علي وابن عباس وعكرمة ومجاهد والسدي وعن مسروق ومحمد بن كعب المراد به فجر يوم النحر خاصة وهو خامسة الليالي العشر ، وقيل المراد بذلك الصلاة التي تفعل عنده كما قاله عكرمة وقيل المراد به جميع النهار وهو رواية عن ابن عباس ، والليالي العشر المراد بها عشر ذي الحجة كما قاله ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف ، وقد ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس مرفوعاً « ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام » يعني عشر ذي الحجة قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال « ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجلاً خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء » وقيل المراد بذلك العشر الأول من المحرم حكاه أبو جعفر ابن جرير ولم يعزه إلى أحد وقد روى أبو كدينة عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس (وليال عشر) قال هو العشر الأول من رمضان ، والصحيح القول الأول قال الإمام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثنا عياض بن عتبة حدثني خير بن نعم عن أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ قال « إن العشر عشر الأضحى ، والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر » ورواه النسائي عن محمد بن رافع وعبد بن عبد الله وكل منهما عن زيد بن الحباب به ، ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث زيد بن الحباب به وهذا إسناد رجاله لا بأس بهم وعندى أن اللتان في رفة نكارة والله أعلم . وقوله تعالى (والشفع والوتر) قد تقدم في هذا الحديث أن الوتر يوم عرفة لكونه التاسع وأن الشفع يوم النحر لكونه العاشر وقاله ابن عباس وعكرمة والضحاك أيضاً « قول ثان » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثني عتبة بن خالد عن واصل بن السائب قال سألت عطاء عن قوله تعالى (والشفع والوتر) قلت صلاتنا وترنا هذا ؟ قال لا ولكن الشفع يوم عرفة والوتر ليلة الأضحى « قول ثالث » قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد ابن عامر بن إبراهيم الأصبهاني حدثني أبي عن النعمان يعني ابن عبد السلام عن أبي سعيد بن عوف حدثني بمكة قال سمعت عبد الله بن الزبير يخطب الناس فقام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن الشفع والوتر فقال الشفع قول الله تعالى (فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه) والوتر قوله تعالى (ومن تأخر فلا إثم عليه) وقال ابن جرير أخبرني محمد بن المرتفع أنه سمع ابن الزبير يقول : الشفع أوسط أيام التشريق والوتر آخر أيام التشريق وفي الصحيحين من رواية أبي هريرة عن رسول الله ﷺ « إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر » « قول رابع » قال الحسن البصري وزيد بن أسلم : الخلق كلهم شفع ووتر أقسم تعالى بخلقه

وهو رواية عن مجاهد والمشهور عنه الأول وقال العوفي عن ابن عباس (والشفع والوتر) قال : الله وتر واحد وأتم شفيع ويقال الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب

(قول خامس) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد (والشفع والوتر) قال : الشفع الزوج ، والوتر : الله عز وجل وقال أبو عبد الله عن مجاهد : الله الوتر وخلق الشفع الذكر والأنثى وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله (والشفع والوتر) كل شيء خلقه الله شفيع . السماء والأرض والبر والبحر والجن والإنس والشمس والقمر ونحو هذا ، ونحو مجاهد في هذا ما ذكره في قوله تعالى (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) أى لتعلموا أن خالق الأزواج واحد (قول سادس) قال قتادة عن الحسن (والشفع والوتر) هو العدم منه شفيع ومنه وتر . (قول سابع في الآية الكريمة) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق ابن جريج . ثم قال ابن جرير وروى عن النبي ﷺ خبر يؤيد القول الذى ذكرنا عن ابن الزبير حدثني عبد الله بن أبي زياد القطواني حدثنا زيد بن الحباب أخبرني عياش بن عقبة حدثني خير بن نعيم عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ قال « الشفع اليومان والوتر اليوم الثالث » هكذا ورد هذا الخبر بهذا اللفظ وهو مخالف لما تقدم من اللفظ في رواية أحمد والنسائي وابن أبي حاتم وما رواه هو أيضا والله أعلم . قال أبو العالية والريبع بن أنس وغيرهما : هي الصلاة منها شفيع كالرباعية والثنائية ومنها وتر كالمغرب فانها ثلاث وهي وتر النهار وكذلك صلاة الوتر في آخر التهجد من الليل . وقد قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن عمران بن حصين (والشفع والوتر) قال هي الصلاة المكتوبة منها شفيع ومساوتها وهذا منقطع وموقوف ولفظه خاص بالمكتوبة وقد روى متصلا مرفوعا إلى النبي ﷺ ولفظه عام . قال الإمام أحمد حدثنا أبو داود وهو الطيالسي حدثنا همام عن قتادة عن عمران بن حصين أن شيخا حدثه من أهل البصرة عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ سئل عن الشفع والوتر فقال « هي الصلاة بعضها شفيع وبعضها وتر » هكذا وقع في السند ، وكذا رواه ابن جرير عن بNDAR عن عفان وعن أبي كريب عن عبيد الله بن موسى كلاهما عن همام وهو ابن يحيى عن قتادة عن عمران بن حصين بن عمام عن شيخ عن عمران بن حصين ، وكذا رواه أبو عيسى الترمذي عن عمرو ابن طي عن ابن مهدي وأبي داود كلاهما عن همام عن قتادة عن عمران بن حصين عن رجل من أهل البصرة عن عمران بن حصين به ثم قال غريب لا نعرفه إلا من حديث قتادة ، وقد رواه خالد بن قيس أيضا عن قتادة وقد روى عن عمران بن عمام عن عمران بن عمام نفسه والله أعلم (قلت) ورواه ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا همام عن قتادة عن عمران بن حصين عن شيخ من أهل البصرة عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ فذكره هكذا رأيته في تفسيره فجعل الشيخ البصرى هو عمران بن عمام . وهكذا رواه ابن جرير أخبرنا نصر بن طي حدثني أبي حدثني خالد بن قيس عن قتادة عن عمران بن عمام عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ في الشفع والوتر قال « هي الصلاة منها شفيع ومنها وتر » فأستطدكر الشيخ المصنف وتفرد به عمران بن عمام الضبعي أبو عمار البصرى إمام مسجد بني ضبيعة وهو والد أبي حمزة نصر بن عمران الضبعي روى عنه قتادة وابنه أبو حمزة والثني بن سعيد وأبو التياح يزيد بن حميد وذكره ابن حبان في كتاب الثقات وذكره خليفة بن خياط في التابعين من أهل البصرة وكان شريفا نبيلاً حظيا عند الحجاج بن يوسف ثم قتله يوم الراوية سنة ثنتين وثمانين لخروجه مع ابن الأشعث وليس له عند الترمذي سوى هذا الحديث الواحد ، وعندى أن وقفه على عمران بن حصين أشبه والله أعلم ولم يجزم ابن جرير بشيء من هذه الأقوال في الشفع والوتر وقوله تعالى (والليل إذا يسر) قال العوفي عن ابن عباس أى إذا ذهب ، وقال عبد الله بن الزبير (والليل إذا يسر) حتى يذهب بعضه بعضا ، وقال مجاهد وأبو العالية وقاتدة ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد (والليل إذا يسر) إذا سار وهذا يمكن حمله على ما قال ابن عباس أى ذهب ويحتمل أن يكون المراد إذا سار أى أقبل وقد يقال إن هذا أنسب لأنه في مقابلة قوله (والفجر) فإن الفجر هو إقبال النهار وإدبار الليل فإذا حمل قوله (والليل إذا يسر) على إقباله كان قسما بإقبال الليل وإدبار النهار وبالعكس كقوله (والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس) وكذا قال الضحاك (والليل إذا يسر)

أى يجرى ، وقال عكرمة (والليل إذا يسر) يعنى ليلة جمع ليلة اللزدلفة . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم
ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام حدثنا أبو عامر عن كثير بن عبد الله بن عمرو قال سمعت محمد بن كعب
القرظى يقول فى قوله (والليل إذا يسر) قال: اسر ياسارولا تبين إلا بجمع ، وقوله تعالى (هل فى ذلك قسم لى حجر)
أى لى عقل ولب وحجا ، وإنما سمى العقل حجرا لأنه يمنع الإنسان من تعاطى مالا يلىق به من الأفعال
والأقوال ، ومنه حجر البيت لأنه يمنع الطائف من اللصوق بجداره الشامى ، ومنه حجر اليمامة ، وحجر الحاكم على
قلان إذا منعه التصرف (ويقولون حجرا محجورا) كل هذا من قبيل واحد ، ومعنى متقارب ، وهذا القسم هو بأوقات
العبادة وبفس العباد من حج وصلاة وغير ذلك من أنواع القرب التى يقرب بها إلى عبادته اللتقون اللطيعون له
الحائضون منه اللتواضعون لىديه اللتاشعون لوجهه اللسكرىم ولما ذكر هؤلاء وعبادتهم وطاعتهم قال بعده (ألم تركىف
فعل ربك بعدا ؟) وهؤلاء كانوا متمردىن عتاة جبارىن خارجىن عن طاعته مكذبن لرسله جاحدىن لكتبه فذكر تعالى
كىف أهلكهم ودمرهم وجعلهم أحادىث وعبرا فقال (ألم تركىف فعل ربك بعدا ؟ إرم ذات العباد ؟) وهؤلاء عاد
الأولى وهم ولد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح قاله ابن إسحق وهم اللدىن بعث الله فىهم رسوله هوذا علىه
السلام فكذبوه وخالفوه فأنجاه الله من بىن أظهرهم ومن آمن معه منهم وأهلكهم بربى صرصرة عاتية سخرها علىهم
سبع لىال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فىها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقىة ؟ وقد ذكر
الله قصتهم فى القرآن فى غير ما موضع لىعتبر بمصرعهم اللؤمنون بقوله تعالى (إرم ذات العباد) عطف بىان زيادة
تعريف بهم وقوله تعالى (ذات العباد) لأنهم كانوا يسكنون بىوت الشعر التى ترفع بالأعمدة الشداد وقد كانوا أشد
الناس فى زمانهم خلقة وأقوام بطشا ، ولهذا ذكرهم هوذ بتلك النعمة وأرشدهم إلى أن يستعملوها فى طاعة ربهم اللذى
خلقهم فقال (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسط فاذكروا آلاء الله ولا تنفوا فى
الأرض مفسدىن) وقال تعالى (فأما عاد فاستكبروا فى الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة ؟ أو لم يروا أن الله
الذى خلقهم هو أشد منهم قوة) وقال ههنا (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) أى القبىلة التى لم يخلق مثلها فى بلادهم لقوتهم
وشدتهم وعظم تركىبهم ، قال مجاهد: إرم ، أمة قديمة يعنى عادا الأولى ، قال قتادة بن دعامة والسدى : إن إرم بىت مملكة
عاد ، وهذا قول حسن جىدقوى وقال مجاهد و قتادة والسكبى فى قوله (ذات العباد) كانوا أهل عمد لا ىقمنون ، وقال
العوفى عن ابن عباس إنما قىل لهم ذات العباد لظوهم ، واختار الأول ابن جرير ورد اللثانى فأصاب ، وقوله تعالى (التى
لم يخلق مثلها فى البلاد) أعاد ابن زىد الضمىر على العباد لارتفاعها وقال بنوا عمدا بالأحفاف لم يخلق مثلها فى البلاد ،
وأما قتادة وابن جرير فأعاد الضمىر على القبىلة أى لم يخلق مثل تلك القبىلة فى البلاد يعنى فى زمانهم ، وهذا القول هو
الصواب ، وقول ابن زىد ومن ذهب مذهبه ضعيف لأنه لو كان المراد ذلك لقال الذى لم يعمل مثلها فى البلاد وإنما
قال (لم يخلق مثلها فى البلاد) وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو صالح كاتب اللىث حدثنى معاوية بن صالح عن
حدثه عن اللقسدام عن النبى ﷺ أنه ذكر إرم ذات العباد فقال « كان الرجل منهم بآنى على الصخرة فىحملها
على الحى فىهلكهم » ثم قال ابن أبى حاتم حدثنا طى بن الحسين حدثنا أبو الطاهر حدثنا أنس بن عىاض عن ثور بن زىد
اللدىلى قال قرأت كتابا قد سمى حىث قرأه أنا شداد بن عاد وأنا اللذى رفعت العباد وأنا اللذى شدت بدراعى نظر واحد
وأنا اللذى كبرت كرتا على سبعة أذرع لا ىخرجه إلا أمة محمد ﷺ قلت فعلى كل قول سواء كانت العباد أبنة بنوا
أو أعمدة بىوتهم للبدو أو سلاحا ىقاتلون به أو طول الواحد منهم فهم قبىلة وأمة من الأمم وهم للذكورون فى القرآن
فى غير ما موضع القرونون بشمود كما ههنا والله أعلم

ومن زعم أن المراد بقوله (إرم ذات العباد) مدىنة إما دمشق كما روى عن سعبد بن السىب وعكرمة أو اسكندرىة
كما روى عن القرظى أو غيرها ففىه نظر فانه كىف ىلتئم الكلام على هذا (ألم تركىف فعل ربك بعدا ؟ إرم ذات
العباد) إن جعل ذلك بدلا أو عطف بىان ، فانه لا ىتسق الكلام حىثئذ ، ثم المراد إنما هو الاخبار عن إهلاك

القبيلة السهامة بعد وما أحل الله بهم من بأسه الذي لا يرد لا أن المراد الاخبار عن مدينة أو إقليم . وإنما نهيت على ذلك
لكل ما يكثر بذكره جماعة من المفسرين عندهم الآيات من ذكر مدينة يقال لها: إرم ذات العمد ، مبنية بلبن الذهب والفضة
قصورها ودورها وبساتينها ، وأن حصابها لآلىء وجواهر وترابها بنادق للسك وأنهاها سارحة وثمارها ساقطة
ودورها لا أنيس بها وسورها وأبوابها تصفر ليس بها داع ولا حبيب ، وأنها تنتقل فتارة تكون بأرض الشام وتارة
باليمن وتارة بالعراق وتارة بغير ذلك من البلاد فإن هذا كله من خرافات الإسرائيليين من وضع بعض زنادقهم
ليخبروا بذلك عقول الجهلة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك . وذكر الثعلبي وغيره أن رجلا من الأعراب وهو
عبد الله بن قلابة في زمان معاوية ذهب في طلب أباعر له شردت فينا هويته في ابتغائها إذ اطلع على مدينة عظيمة
لها سور وأبواب فدخلها فوجد فيها قريبا مما ذكرناه من صفات المدينة الذهبية التي تقدم ذكرها وأنها رجح فأخبر الناس
فذهبوا معه إلى المكان الذي قال فلم يروا شيئا . وقد ذكر ابن أبي حاتم قصة إرم ذات العمد ههنا مطولة جدا فهذه
الحكاية ليس يصح إسنادها ولو صح إلى ذلك الأعرابي فقد يكون اختلق ذلك أو أنه أصابه نوع من الهوس والحبال
فاعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج وليس كذلك ، وهذا مما يقطع بعدم صحته ، وهذا قريب مما يخبر به كثير من
الجهلة والطامعين والتحنيلين من وجود مطالب تحت الأرض فيها قناطير الذهب والفضة وألوان الجواهر والياوقيت
واللآلىء والإكسير الكبير لكن عليها موانع تمنع من الوصول إليها والأخذ منها فيحتالون على أموال الأغنياء والضعفة
والسفهاء فيأكلونها بالباطل في صرفها في بخاخير وعقاير ونحو ذلك من الهديات ويطنزون بهم والذي يجزم به أن
في الأرض دفتان جاهلية وإسلامية وكنوزا كثيرة من ظفر بشيء منها أمكنه تحويله ، فأما على الصفة التي زعموها
فكذب وافتراء وبهت ولم يصح في ذلك شيء مما يقولون إلا عن نقلهم أو نقل من أخذ عنهم والله سبحانه وتعالى
المهادى للصواب . وقول ابن جرير يحتمل أن يكون المراد بقوله (إرم ذات العمد) قبيلة أو بلدة كانت عاد تسكنها
فلذلك لم تصرف ، فيه نظر لأن المراد من السياق إنما هو الاخبار عن القبيلة ولهذا قال بعده (ومحمد الدين جابوا
الصخر بالواد) يعني يقطعون الصخر بالوادى قال ابن عباس ينحتونها ويحرقونها وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد
ومنه يقال مجتأى النمار إذا خرقتها واجتأب الثوب إذا فتحه ومنه الجيب أيضا وقال الله تعالى (وتحتون من الجبال
بيوتا فارهين) وأنشد ابن جرير وابن أبي حاتم ههنا قول الشاعر :

ألا كل شيء ما خلا الله بائد * كما باد حتى من شنيف ومارد

هم ضربوا في كل صماء صعدة * بأيد شداد أيدات السواعد

وقال ابن إسحق كانوا عربا وكان منزلهم بوادى القرى وقد ذكرنا قصة عاد مستقصاة في سورة الأعراف بما
أغنى عن إعادته . وقوله تعالى (وفرعون ذى الأوتاد) قال العوفي عن ابن عباس الأوتاد الجنود الذين يشدون
له أمره ويقال كان فرعون يوتد أيديهم وأرجلهم في أوتاد من حديد يعلقهم بها وكذا قال مجاهد كان يوتد الناس
بالأوتاد وهكذا قال سعيد بن جبير والحسن والسدى . قال السدى كان يربط الرجل كل قائمة من قوائمه في وتد ثم يرسل
عليه صخرة عظيمة فيشدخه وقال قتادة بلغنا أنه كان له مظال وملاعب يلعب له تحتها من أوتاد وحبال وقال ثابت البناني
عن أبي رافع قيل لفرعون ذى الأوتاد لأنه ضرب لامرأته أربعة أوتاد ثم جعل على ظهرها رعى عظيمة حتى ماتت . وقوله تعالى
(الذين طفوا في البلاد * فأكثروا فيها الفساد) أى تمردوا وعتوا وطأوا في الأرض بالانفساد والأذية للناس (نصب
عليهم ربك سوط عذاب) أى أنزل عليهم رجزا من السماء وأحل بهم عقوبة لا يردها عن القوم المجرمين
وقوله تعالى (إن ربك لبا لمرصاد) قال ابن عباس يسمع ويرى يعنى يرصد خلقه فيما يعملون ويجازى كلابسه في الدنيا
والأخرى وسيعرض الخلائق كلهم عليه فيحكم فيهم بعدله ويقابل كلا بما يستحقه وهو المنزه عن الظلم والجور . وقد
ذكر ابن أبي حاتم ههنا حديثا غريبا جدا وفي إسناده نظر وفي صحته ، فقال حدثنا أبو حدثنا أحمد بن أبي
الحوارى حدثنا يونس الخذاء عن أبي حمزة البيهقي عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ « يا معاذ إن المؤمن

لدى الحق أمير ، يا معاذ إن المؤمن لا يسكن روعه ولا يأمن اضطرابه حتى يخلف جسر جهنم خلف ظهره ، يماذ إن المؤمن قيده القرآن عن كثير من شهواته وعن أن يهلك فيها هو بإذن الله عز وجل فالقرآن دليله ، والخوف محجته والشوق مطيته ، والصلاة كهفه ، والصوم جنته ، والصدقة فكاكه ، والحياء وزيره ، ورببه عز وجل من وراء ذلك كله بالمرصاد » قال ابن أبي حاتم : يونس الخذاء وأبو حمزة مجهولان وأبو حمزة عن معاذ مرسل ولو كان عن أبي حمزة لسكان حسنا أى لو كان من كلامه لسكان حسنا ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا صفوان بن صالح حدثنا الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن أبيع عن ابن عبد الكلاعى أنه سمعه وهو يعظ الناس يقول إن لجهنم سبع قناطر قال والصراط عليهم قال فيحبس الخلائق عند القنطرة الأولى فيقول (قوم إنهم مسؤولون) قال فيحاسبون على الصلاة ويستلون عنها قال فيهلك فيها من هلك وينجو من نجا ، فإذا بلغوا القنطرة الثانية حوسبوا على الأمانة كيف أدوها وكيف خانوها قال فيهلك فيها من هلك وينجو من نجا ، فإذا بلغوا القنطرة الثالثة سئلوا عن الرحم كيف وصلوها وكيف قطعوها قال فيهلك فيها من هلك وينجو من نجا ، قال والرحم يومئذ متدلية إلى الهوى في جهنم تقول اللهم من وصلني فصله ، ومن قطعني فانطمه قال وهى التى يقول الله عز وجل (إن ربك لبالمرصاد) هكذا أورد هذا الأثر ولم يذكر تمامه

﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ * كَلَّا بَلْ لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ الْآثَرَ أَكْلًا * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾

يقول تعالى مكرا على الإنسان في اعتقاده إذا وسع الله تعالى عليه في الرزق ليختبره في ذلك فيعتقد أن ذلك من الله إكرام له وليس كذلك بل هو ابتلاء وامتحان كما قال تعالى (أبحسون أنما نمدم به من مال وبنين * نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) وكذلك في الجانب الآخر إذا ابتلاء وامتحنه وضيق عليه في الرزق يعتقد أن ذلك من الله إهانة له قال الله تعالى (كلا) أى ليس الأمر كما زعم لا في هذا ولا في هذا فان الله تعالى يعطى اللال من يحب ومن لا يحب ويضيق على من يحب ومن لا يحب وإنما اللدار في ذلك على طاعة الله في كل من الحالين إذا كان غنيا بأن يشكر الله على ذلك وإذا كان فقيرا بأن يصبر وقوله تعالى (بل لا تكرمون اليتيم) فيه أمربالا كرام له كما جاء في الحديث النبى رواه عبد الله بن المبارك عن سعيد بن أيوب عن يحيى بن سليمان عن يزيد بن أبي غياث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه - ثم قال باصبعه - أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » . وقال أبو داود حدثنا محمد بن الصباح بن سفيان أخبرنا عبد العزيز بن ابن أبي حازم حدثني أبي عن سهل بن سعيد أن رسول الله ﷺ قال « أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة » وقرن بين اصبعه الوسطى والى تلى الإبهام (ولا تحاضون على طعام المسكين) يعنى لا يأمرؤن بالإحسان إلى الفقراء والمسكين ويحث بعضهم على بعض في ذلك (وتأكلون الترات) يعنى لليرات (أكلا لما) أى من أى جهة حصل لهم من حلال أو حرام (وتحبون اللال حبا جما) أى كثيرا زاد بعضهم فاحشا

﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِئَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدِمْتُ إِحْيَائِي * فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا * وَلَا يُوثِقُ وِثْقَهُ أَحَدًا * يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي *

وَأَدْخِلِي جَنَّتِي ﴿

يخبر تعالى عما يقع يوم القيامة من الأهوال العظيمة فقال تعالى (كلا) أى حقا (إذا دكت الأرض دكا دكا) أى وطئت ومهدت وسويت الأرض والجبال وقام الخلائق من قبورهم لربهم (وجاء ربك) يعنى لفصل القضاء بين خلقه وذلك بعدما يستشفعون إليه بسيد ولد آدم على الاطلاق محمد صلوات الله وسلامه عليه بعدما يسألون أولى العزم من الرسل واحدا بعد واحد فكلمهم يقول لست بصاحب ذاكم حتى تنتهى النبوة إلى محمد ﷺ فيقول « أنا لما أنا لها » فيذهب فيشفع عند الله تعالى فى أن يأتى لفصل القضاء فيشفعه الله تعالى فى ذلك وهى أول الشفاعات وهى للمقام المحمود كما تقدم بيانه فى سورة سبحان فيجىء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء كما يشاء والملائكة يجيئون بين يديه صفوفا صفوفا وقوله تعالى (وجىء يومئذ بجهنم) قال الإمام مسلم بن الحجاج فى صحيحه حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبى عن العلاء بن خالد السكاهلى عن شقيق عن عبد الله هو ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها » وهكذا رواه الترمذى عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى عن عمر بن حفص به ورواه أيضا عن عبد بن حميد عن أبى عامر عن سفيان الثورى عن العلاء بن خالد عن شقيق بن سلمة وهو أبو وائل عن عبد الله بن مسعود قوله ولم يرفعه وكذا رواه ابن جرير عن الحسن بن عرفة عن مروان بن معاوية الفزارى عن العلاء بن خالد عن شقيق عن عبد الله قوله . وقوله تعالى (يومئذ يتذكر الإنسان) أى عمله وما كان أسلفه فى قديم الدهر وحديثه (وأنى له الذكرى) أى وكيف تنفعه الله كرى (يقول يا لىتى قدمت لحياتى) يعنى يندم على ما كان سلف منه من المعاصى إن كان عاصيا ويود لو كان ازداد من الطاعات إن كان طائعا كما قال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا على بن إسحق حدثنا عبد الله يعنى ابن المبارك حدثنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن محمد بن عمرة وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو أن عبدا خر على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت فى طاعة الله لحقره يوم القيامة ولود أنه رد إلى الدنيا كما يزداد من الأجر والثواب . قال الله تعالى (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد) أى ليس أحد أشد عذابا من تعذيب الله من عصاه (ولا يوثق وثاقه أحد) أى وليس أحد أشد قبضا ووثقا من الزبانية لمن كفر بربه عز وجل وهذا فى حق المجرمين من الخلائق والظالمين فأما النفس الزكية المطمئنة وهى الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق فيقال لها (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك) أى إلى جواره وثوابه وما أعد لعباده فى جنته (راضية) أى فى نفسها (مرضية) أى قد رضيت عن الله ورضى عنها وأرضاها (فادخلى فى عبادى) أى فى جملتهم (وادخلى جنتى) وهذا يقال لها عند الاحتضار وفى يوم القيامة أيضا كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره فكذلك ههنا

ثم اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية فروى الضحاك عن ابن عباس نزلت فى عثمان بن عفان : وعن بريدة ابن الحبيب نزلت فى حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه . وقال العوفى عن ابن عباس يقال للأرواح المطمئنة يوم القيامة (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك) يعنى صاحبك وهو بدنها الذى كانت تعمه فى الدنيا (راضية مرضية) وروى عنه أنه كان يقرؤها (فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى) وكذا قال عكرمة والسكبي واختاره ابن جرير وهو غريب والظاهر الأول لقوله تعالى (ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق) (وأن مردنا إلى الله) أى إلى حكمه والوقوف بين يديه وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الشنكى حدثنى أبى عن أبيه عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله تعالى (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية) قال نزلت وأبو بكر جالس فقال يا رسول الله ما أحسن هذا فقال « أما إنه سيقال لك هذا » ثم قال حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن يمان عن أشعث عن سعيد بن جبير قال : قرأت عند النبي صلى الله عليه وسلم (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية) فقال أبو بكر رضى الله عنه إن هذا لحسن ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « أما إن الملك

سيقول لك هذا عند الموت » وكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن ابن يمان به وهذا امر سهل حسن .
ثم قال ابن أبي حاتم وحدثنا الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن شجاع الجزري عن سالم الأظفسي عن سعيد بن جبير
قال : مات ابن عباس بالطائف فجاء طير لم ير على خلقته فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير
القبر لا يدري من تلاها (يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) ورواه
الطبراني عن عبد الله بن أحمد عن أبيه عن مروان بن شجاع عن سالم بن عجلان الأظفسي به فذكره . وقد ذكر الحافظ
محمد بن اللندري المعروف بشكر في كتاب العجائب بسنده عن قباث بن رزين أبي هاشم قال : أسرت في بلاد
الروم فجمعنا الملك وعرض علينا دينه على أن من امتنع ضربت عنقه فارتد ثلاثة وجاء الرابع فامتنع فضربت عنقه وألقت
رأسه في نهر هناك فرسب في الماء ثم طفاطى وجه الماء ونظر إلى أولئك الثلاثة فقال : يا فلان ويا فلان ويا فلان يناديهم بأسمائهم
قال الله تعالى في كتابه (يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) ثم غاص
في الماء وقال فكادت النصارى أن يسلموا ووقع سرير الملك ورجع أولئك الثلاثة إلى الاسلام قال وجاء القداء من
عند الخليفة أبي جعفر النصور فخلصنا

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة رواحة بنت أبي عمرو الأوزاعي عن أبيها حدثني سليمان بن حبيب الحاربي حدثني
أبو أمامة أن رسول الله ﷺ قال لرجل « قل اللهم إني أسألك نفسا بك مطمئنة تؤمن بقلبك وترضى بقضائك
وتقنع بعطائك » ثم روى عن أبي سليمان بن وبر أنه قال : حديث رواحة هذا واحد أمه آخر تفسير سورة الفجر ، والله الحمد والمنة

(تفسير سورة البلد وهي مكة)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ *
أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ * يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا * أَيْحَسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ * أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ
عَيْنَيْنِ * وَلسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾

هذا قسم من الله تبارك وتعالى بمكة أم القرى في حال كون الساكن فيها حلالا لئيبه على عظمة قدرها في حال إحرام
أهلها ، قال خفيف عن مجاهد (لا أقسم بهذا البلد) لارد عليهم . أقسم بهذا البلد ، وقال شيب بن بشر عن عكرمة عن
ابن عباس (لا أقسم بهذا البلد) يعني مكة (وأنت حل بهذا البلد) قال أنت يا محمد حل لك أن تقابل به ، وكذا روى
عن سعيد بن جبير وأبي صالح وعطية والضحاك وقتادة والسدي وابن زيد ، وقال مجاهد ما أصبت فيه فهو حلال لك ،
وقال قتادة (وأنت حل بهذا البلد) قال أنت به من غير حرج ولا إثم ، وقال الحسن البصري أحلها الله ساعة من نهار
وهذا المعنى الذي قالوه قد ورد به الحديث للتفق على صحته « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض
فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يبضد شجره ولا يختلى خلاه ، وإنما أحلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها
اليوم كحرمها بالأمس ألا فليبلغ الشاهد الغائب » وفي لفظ آخر « فإن أحد ترخص بقتال رسول الله فقولوا إن الله أذن
لرسوله ولم يأذن لكم » ، وقوله تعالى (ووالد وما ولد) قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن عطية عن شريك عن
خفيف عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (ووالد وما ولد) الوالد الذي يلد وما ولد العاقر الذي لا يولد له ، ورواه
ابن أبي حاتم من حديث شريك وهو ابن عبد الله القاضي به وقال عكرمة الوالد العاقر وما ولد الذي يلد . رواه ابن أبي حاتم .
وقال مجاهد وأبو صالح وقتادة والضحاك وسفيان الثوري وسعيد بن جبير والسدي والحسن البصري وخفيف وشريك بن سعد
 وغيرهم يعني بالوالد آدم وما ولدوله وهذا الذي ذهب إليه مجاهد وأصحابه حسن قوي لأنه تعالى لما أقسم بأم القرى وهي
المساكن أقسم بعده بالمساكن وهو آدم أبو البشر وولده وقال أبو عمران الجوني هو إبراهيم وذريته » رواه ابن جرير وابن

أبي حاتم واختار ابن جرير أنه عام في كل والد وولده وهو محتمل أيضا ، وقوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان في كبد) روى عن ابن مسعود وابن عباس وعكرمة ومجاهد وإبراهيم النخعي وخيشمة والضحاك وغيرهم يعني منتصبا زاد ابن عباس في رواية عنه منتصبا في بطن أمه والكبد الاستواء والاستقامة ، ومعنى هذا القول لقد خلقناه سويا مستقيا كقوله تعالى (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك) وكقوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان) في أحسن تقويم) وقال ابن أبي نجيح وجريج وعطاء عن ابن عباس : في كبد قال في شدة خلق ألم تر إليه وذكر مولده ونبت أسنانه ، وقال مجاهد (في كبد) نطفة ثم علقة ثم مضغة يتكبد في الخلق قال مجاهد وهو كقوله تعالى (حملته أمه كرها ووضعته كرها) وأرضعته كرها ومعيشته كره فهو يكابد ذلك وقال سعيد بن جبير (لقد خلقنا الإنسان في كبد) في شدة وطلب معيشة وقال عكرمة في شدة وطول وقال قتادة في مشقة . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام حدثنا أبو عاصم أخبرنا عبد الحميد بن جعفر سمعت محمد بن علي أبا جعفر الباقر سأل رجلا من الأنصار عن قول الله تعالى (لقد خلقنا الإنسان في كبد) قال في قيامه واعتداله فلم ينكر عليه أبو جعفر ، وروى من طريق أبي مودود سمعت الحسن قرأ هذه الآية (لقد خلقنا الإنسان في كبد) قال يكابد أمرا من أمر الدنيا وأمرا من أمر الآخرة وفي رواية يكابد مضائق الدنيا وشدائد الآخرة وقال ابن زيد (لقد خلقنا الإنسان في كبد) قال آدم خلق في السماء فسمى ذلك الكبد واختار ابن جرير أن المراد بذلك مكابدة الأمور ومشاقها ، وقوله تعالى (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) قال الحسن البصري يعني (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) يأخذ ماله وقال قتادة (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) قال ابن آدم يظن أن لن يستل عن هذا المال من أين اكتسبه وأين أنفقه ، وقال السدي (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) قال الله عز وجل ، وقوله تعالى (يقول أهلكت ما لا لبدا) أي يقول ابن آدم أنفقت ما لا لبدا أي كثيرا قاله مجاهد والحسن وقاتدة والسدي وغيرهم (أيحسب أن لن يره أحد) قال مجاهد أي أيحسب أن لم يره الله عز وجل وكذا قال غيره من السلف : وقوله تعالى (ألم نجعل له عينين) أي يبصر بهما (ولسانا) أي ينطق به فيعبر عما في ضميره (وشفقتين) يستعين بهما على الكلام وأكل الطعام وجمالا لوجهه وقفه . وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي الربيع الدمشقي عن مكحول قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى يا ابن آدم قد أنعمت عليك نعمًا عظاما لا تحصى عددها ولا تطيق شكرها وإن مما أنعمت عليك أن جعلت لك عينين تنظر بهما وجعلت لهما غطاء فانظر بعينيك إلى ما أحللت لك وإن رأيت ما حرمت عليك فأطبق عليهما غطاءهما وجعلت لك لسانا وجعلت له غلافا فانطق بما أمرك وأحللت لك فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأغلق عليك لسانك . وجعلت لك فرجا وجعلت لك سترا فأصب بفرجك ما أحللت لك فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأرخ عليك سترك ، ابن آدم إنك لا تحمل سخطى ولا تطيق انتقامى » (وهديناه النجدين) الطريقتين قال سفيان الثوري عن عاصم عن زر عن عبد الله هو ابن مسعود (وهديناه النجدين) قال الحارث والشر وكذا روى عن علي وابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبي وائل وأبي صالح ومحمد بن كعب والضحاك وعطاء الخراساني في آخرين وقال عبد الله بن وهب أخبرني ابن لميعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « هما نجدان فجعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير » تفرد به سنان بن سعد ويقال سعد بن سنان وقد وثقه ابن معين وقال الامام أحمد والنسائي والجوزجاني منكر الحديث ، وقال أحمد ترك حديثه لا يضطرب به وروى خمسة عشر حديثا منكرا كلها ما أعرف منها حديثا واحدا يشبه حديثه حديث الحسن - يعني البصري - لا يشبه حديث أنس وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن أبي رجاء قال سمعت الحسن يقول (وهديناه النجدين) قال ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول « يا أيها الناس إنهما النجدان نجد الخير ونجد الشر فجعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير » وكذا رواه حبيب بن الشهيد ومعمرو ويونس بن عبيد وأبو وهب عن الحسن مرسلًا وهكذا أرسله قتادة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام الأنصاري حدثنا أبو أحمد الزيري حدثنا عيسى بن عفان عن أبيه عن ابن عباس في قوله تعالى (وهديناه النجدين) قال التديين وروى عن الربيع بن خثيم وقاتدة وأبي حازم مثل ذلك ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن عيسى بن عقاب به ثم قال والصواب القول الأول

ونظير هذه الآية قوله تعالى (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا * إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا)

﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُ رَقَبَةً * أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْجَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ * ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِنَايَتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ ﴾

قال ابن جرير حدثني عمر بن إسماعيل بن مجالد حدثنا عبد الله بن إدريس عن أبيه عن أبي عطية عن ابن عمر في قوله تعالى (فلا اقتحم) أى دخل (العقبة) قال حبل في جهنم وقال كعب الأخبار (فلا اقتحم العقبة) هو سبعون درجة في جهنم وقال الحسن البصرى (فلا اقتحم العقبة) قال عقبة في جهنم وقال قتادة إنها عقبة قحمة شديدة فاقتموها بطاعة الله تعالى وقال قتادة (وما أدراك ما العقبة ؟) ثم أخبر تعالى عن اقتحامها فقال (فك رقة أو إطعام) وقال ابن زيد (فلا اقتحم العقبة) أى أفلا سلك الطريق التى فيها النجاة والحير ثم بينها فقال تعالى (وما أدراك ما العقبة * فك رقه أو إطعام) قرىء فك رقة بالإضافة وقرىء على أنه فعل وفيه ضمير الفاعل والرقبة مفعوله وكلتا القراءتين معناها متقارب . قال الإمام أحمد حدثنا على بن إبراهيم حدثنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن إسماعيل بن أبي حكيم . وولى آل الزبير عن سعيد بن مرجانة أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرب — أى عضوا — منها إربا منه من النار حتى إنه ليعتق باليد اليد وبالرجل الرجل وبالفرج الفرج » فقال على بن الحسين أنت سمعت هذا من أبي هريرة ؟ فقال سعيد نعم فقال على بن الحسين لعل له أقره غلامه ادع مطرفا فلما قام بين يديه قال اذهب فأنت حر لوجه الله ، وقد رواه البخاره ومسلم والترمذى والنسائى من طرق عن سعيد بن مرجانة به وعند مسلم أن هذا العلام الذى أعتقه على بن الحسين زين العابدين كان قد أعطى فيه عشرة آلاف درهم وقال قتادة عن سالم بن أبى الجعد عن معدان بن أبى طلحة عن أبى نجیح قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أيا مسلم أعتق رجلا مسلما فان الله جاعل وفاء كل عظم من عظامه عظما من عظام محرره من النار وأيا امرأة أعتقت امرأة مسلمة فان الله جاعل وفاء كل عظم من عظامها عظما من عظامها من النار » رواه ابن جرير هكذا وأبو نجیح هذا هو عمرو بن عبسة السلمى رضى الله عنه

قال الإمام أحمد حدثنا حيوة بن شريح حدثنا بقة حدثني بجير بن سعد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة عن عمرو بن عبسة أنه حدثهم أن النبي ﷺ قال « من بنى مسجدا ليدكر الله فيه بنى الله له بيتا فى الجنة ، ومن أعتق نفسه مسلمة كانت فديته من جهنم ، ومن شاب شيبة فى الإسلام كانت له نورا يوم القيامة »

﴿ طريق أخرى ﴾ قال أحمد حدثنا الحكم بن بن نافع حدثنا جرير عن سليم بن عامر أن شرحبيل بن السمط قال لعمر بن عبسة حدثنا حديثا ليس فيه تزييد ولا نسيان قال عمرو : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من أعتق رقبة مسلمة كانت فكاكه من النار عضوا بعضوا ، ومن شاب شيبة فى سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة ، ومن رمى بسهم فبلغ فأصاب أو أخطأ كان كعمتق رقبة من بنى إسماعيل » وروى أبو داود والنسائى بعضه (طريق أخرى) قال أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا الفرغ حدثنا لقمان عن أبى أمامة عن عمرو بن عبسة : قال السلمى قلت له حدثنا حديثا سمعته من رسول الله ﷺ ليس فيه انتقاص ولا وهم قال سمعته يقول « من ولد له ثلاثة أو لاد فى الإسلام فماتوا قبل أن يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم ، ومن شاب شيبة فى سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة ، ومن رمى بسهم فى سبيل الله بلغ به العدو أصاب أو أخطأ كان له عتق رقبة ومن أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضوا منه من النار ، ومن أنفق زوجين فى سبيل الله فان للجنة ثمانية أبواب يدخله الله من أى باب شاء منها »

وهذه أسانيد جيدة قوية والله الحمد

(حديث آخر) قال أبو داود حدثنا عيسى بن محمد الرملي حدثنا ضمرة عن ابن أبي عتبة عن العريف بن عياش الديلمي قال أتينا وائلة بن الأسقع فقلنا له حدثنا حديثا ليس فيه زيادة ولا نقصان فغضب وقال إن أحدكم ليقرأ ومصحفه معلق في بيته فيزيد وينقص قلنا إنما أردنا حديثا سمعته من رسول الله ﷺ قال أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحب لنا قد أوجب يعني النار بالقتل فقال «أعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار» وكذا رواه النسائي من حديث إبراهيم بن أبي عتبة عن العريف بن عياش الديلمي عن وائلة به . (حديث آخر) قال أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا هشام عن قتادة عن قيس الجذامي عن عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من أعتق رقبة مسلمة فهو فداؤه من النار» وحدثنا عبد الوهاب الحفاف عن سعيد عن قتادة قال: ذكر لنا أن قيسا الجذامي حدث عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من أعتق رقبة مؤمنة فهي فكاكه من النار» تفرد به أحمد من هذا الوجه . (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن آدم وأبو أحمد قالوا: حدثنا عيسى بن عبد الرحمن البجلي من بني بجيلة من بني سليم عن طلحة بن مصرف عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء بن عازب قال : جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله علمي عملا يدخلني الجنة فقال «لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسئلة ، أعتق النسمة وفك الرقبة» فقال يا رسول الله أوليست ابواحدة ، قال «لا إن عتق النسمة أن تفرد بعثتها ، وفك الرقبة أن تعين في عتقها ، والمنحة الكوف ، والفاء على ذى الرحم الظالم فإن لم تطق ذلك فأطعم الجائع ، واسق الظمآن وتمر بالمعروف وانه عن النكر فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من الخير» . وقوله تعالى (أو إطعام في يوم ذي مسغبة) قال ابن عباس ذى جماعة ، وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقاتدة وغير واحد والسغب هو الجوع ، وقال إبراهيم النخعي في يوم الطعام فيه عزيز ، وقال قتادة في يوم مشتهى فيه الطعام . وقوله تعالى (يتيا) أى أطمع في مثل هذا اليوم يتيا (ذا مقربة) أى ذا قرابة منه قاله ابن عباس وعكرمة والحسن والضحاك والسدي كما جاء في الحديث الذى رواه الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا هشام عن حفصة بنت سيرين عن سلمان بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى الرحم اثنتان ، صدقة وصلة» وقد رواه الترمذى والنسائى وهذا إسناد صحيح وقوله تعالى (أو مسكينا ذامتربة) أى فقير امدقما لا صفا بالتراب وهو الدقما أيضا قال ابن عباس ذامتربة هو المطروح فى الطريق الذى لا بيت له ولا شيء يقيه من التراب وفى رواية هو الذى لصق بالدقما من الفقر والحاجة ليس له شيء ، وفى رواية عنه هو البعيد التربة ، قال ابن أبي حاتم يعنى الغرب عن وطنه ، وقال عكرمة هو الفقير للديون المحتاج ، وقال سعيد بن جبير هو الذى لا أحده وقال ابن عباس وسعيد وقاتدة ومقاتل بن حيان هو ذو العيال ، وكل هذه قريبة المعنى . وقوله تعالى (ثم كان من الذين آمنوا) أى ثم هو مع هذه الأوصاف الجميلة الطاهرة مؤمن بقلبة محتسب ثواب ذلك عند الله عز وجل كما قال تعالى (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا) وقال تعالى (من عمل صالحا من ذكرا أو أنثى وهو مؤمن) الآية . وقوله تعالى (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة) أى كان من المؤمنين العاملين صالحا «التواصين بالصبر على أذى الناس وعلى الرحمة بهم كما جاء فى الحديث الراحون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء» وفى الحديث الآخر «لا يرحم الله من لا يرحم الناس» . وقال أبو داود حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة حدثنا سفيان عن ابن أبي نجیح عن ابن عامر عن عبد الله بن عمرو يرويه قال : من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا ، وقوله تعالى (أولئك أصحاب اليمنة) أى اللتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين . ثم قال (والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب للشامة) أى أصحاب الشمال (عليهم نار مؤصدة) أى مطبقة عليهم فلا يحيد لهم عنها ولا خروج لهم منها اقات أبو هريرة وابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد ومحمد بن كعب القرظى وعطية العوفى والحسن وقاتدة والسدي (مؤصدة) أى مطبقة قال ابن عباس مغلقة الأبواب ، وقال مجاهد أصد الباب بلفظة

قريش أى أغلقه وسيأتى فى ذلك حديث فى سورة (ويل لكل همزة لمزة) . وقال الضحاك (مؤصدة) حيطلا باب له وقال قتادة (مؤصدة) مطبقة فلا ضوء فيها ولا فرج ولا خروج منها آخر الأبد ، وقال أبو عمران الجونى إذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان وكل من كان يخاف الناس فى الدنيا شره فأوتقوا بالحديد ثم أمر بهم إلى جهنم ثم أو صدوها عليهم أى أطبقوها قال فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرار أبدا ، ولا والله لا ينظرون فيها إلى أديم السماء أبدا ولا والله لا تلتقى جفون أعينهم على غمض نوم أبدا ، ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبدا . رواه ابن أبى حاتم . آخر تفسير سورة البلد والله الحمد والمنة

(تفسير سورة والشمس وضحاها وهى مكية)

تقدم حديث جابر الذى فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لما ذ « هلا صليت بسبح اسم ربك الأعلى والشمس وضحاها والليل إذا يشئ ؟ »

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا * وَالنَّهْرِ إِذَا جَلَّهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَّاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)

قال مجاهد (والشمس وضحاها) أى وضوئها وقال قتادة (وضحاها) النهار كله . قال ابن جرير والصواب أن يقال أقسم الله بالشمس ونهارها لأن ضوء الشمس الظاهر هو النهار (والقمر إذا تلاها) قال مجاهد تبعها ، وقال العوفى عن ابن عباس (والقمر إذا تلاها) قال يتلو النهار ، وقال قتادة إذا تلاها ليلة الهلال إذا سقطت الشمس رؤى الهلال ، وقال ابن زيد هو يتلوها فى النصف الأول من الشهر ثم هى تتلوها وهو يتقدمها فى النصف الأخير من الشهر ، وقال مالك عن زيد بن أسلم إذا تلاها ليلة القدر . وقوله تعالى (والنهار إذا جلاها) قال مجاهد أضاء وقال قتادة (والنهار إذا جلاها) إذا غشها النهار ، وقال ابن جرير : وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى والنهار إذا جلا الظلمة لدلالة الكلام عليها (قلت) ولو أن هذا القائل تأول ذلك بمعنى (والنهار إذا جلاها) أى البسيطة لكان أولى ولصح تأويله فى قوله تعالى (والليل إذا يغشاها) فكان أجود وأقوى والله أعلم ولهذا قال مجاهد (والنهار إذا جلاها) انه كقوله تعالى (والنهار إذا تجلى) وأما ابن جرير فاختر عود الضمير فى ذلك كله على الشمس لجرى ذكرها وقالوا فى قوله تعالى (والليل إذا يغشاها) يعنى إذا يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق

وقال بنية بن الوليد عن صفوان حدثنى يزيد بن ذى حمارة قال : إذا جاء الليل قال الرب جل جلاله غشى عبادى خلقى العظيم فالليل يهابه والذى خلقه أحق أن يهاب . رواه ابن أبى حاتم ، وقوله تعالى (والسماء وما بناها) يحتمل أن تكون ما ههنا مصدرية بمعنى والسماء وبنائها وهو قول قتادة ويحتمل أن تكون بمعنى من يعنى والسماء وبنائها وهو قول مجاهد وكلاهما متلازم والبناء هو الرفع كقوله تعالى (والسماء بنيناها بأيدى - أى بقوة - وإنا لموسعون * والأرض فرشناها فنعم الماهدون) وهكذا قوله تعالى (والأرض وما طحاها) قال مجاهد : طحاها دحاها ، قال العوفى عن ابن عباس (وما طحاها) أى خلق فيها وقال طى بن أبى طلحة عن ابن عباس : ضحاها قسمها . وقال مجاهد وقاتة والضحاك والسدى والثورى ، وأبو صالح وابن زيد (طحاها) بسطها وهذا أشهر الأقوال وعليه الأكثر من المفسرين وهو المعروف عند أهل اللغة ، قال الجوهرى طحوته مثل دحوته أى بسطته ، وقوله تعالى (ونفس وما سواها) أى خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة كما قال تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه

أو ينصرانه أو يمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟ » أخرجه من رواية أبي هريرة وفي صحيح مسلم من رواية عياض بن حماد المجاشعي عن رسول الله ﷺ قال « يقول الله عز وجل : إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم » ، وقوله تعالى (فألهمها فجورها وتقواها) أى فأرشدها إلى فجورها وتقواها أى بين ذلك لها وهداها إلى ما قدر لها . قال ابن عباس (فألهمها فجورها وتقواها) بين لها الخير والشر وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك والثوري وقال سعيد بن جبير : ألهمها الخير والشر ، وقال ابن زيد : جعل فيها فجورها وتقواها ، وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا صفوان بن عيسى وأبو عاصم النبيل قالا حدثنا عزرة ابن ثابت حدثني يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر عن أبي الأسود الدبلي قال : قال لى عمران بن حصين أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون فيه أشياء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فما تستقبلون مما أتاكم به نبيهم ﷺ وأكدت عليهم الحجة ؟ قلت بل شيء قضى عليهم ، قال فهل يكون ذلك ظلما ؟ قال ففزعت منه فزعا شديدا قال : قلت له ليس شيء إلا وهو خلقه وملك يده لا يستل عما يفعل وهم يستلون قال سددك الله إنما سألتك لأخبر عقلك إن رجلا من مزينة أو جهينة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون أشياء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أم شيء مما يستقبلون مما أتاكم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وأكدت به عليهم الحجة ؟ قال « بل شيء قد قضى عليهم » قال فقيم نعمل ؟ قال « من كان الله خلقه لإحدى النزليتين يهتبه لها وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى (ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها) » رواه أحمد ومسلم من حديث عزرة بن ثابت به ، وقوله تعالى (قد أفلح من زكاهها وقد خاب من دساها) يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى نفسه أى بطاعة الله كما قال قتادة وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرزائل ، ويروى نحوه عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وكقوله تعالى (قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى) (وقد خاب من دساها) أى دسها أى أخلها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى حتى ركب المعاصى وترك طاعة الله عز وجل وقد يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى الله نفسه وقد خاب من دسى الله نفسه كما قال العوفي وطى بن أبي طلحة عن ابن عباس ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي وأبو زرعة قالا : حدثنا سهل بن عثمان حدثنا أبو مالك يعنى عمرو ابن الحارث عن عمرو بن هشام عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى قول الله عز وجل (قد أفلح من زكاهها) قال النبي صلى الله عليه وسلم « أفلحت نفس زكاهها الله عز وجل » ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي مالك به وجوير هذا هو ابن سعيد متروك الحديث والضحاك لم يلق ابن عباس ، وقال الطبراني حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح حدثنا أبي حدثنا ابن لهيعة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مر بهذه الآية (ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها) وقف ثم قال « اللهم آت نفسى تقواها ، أنت وليها ومولاها ، وخير من زكاهها » (حديث آخر) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يعقوب بن حميد المدني حدثنا عبد الله بن عبد الله الأموى حدثنا من بن محمد الغفارى عن حنظلة بن طى الأسلى عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقرأ « (فألهمها فجورها وتقواها) - قال اللهم آت نفسى تقواها ، وزكها أنت خير من زكاهها ، أنت وليها ومولاها » لم يخرجوه من هذا الوجه ، وقال الامام أحمد حدثنا وكيع عن نافع عن ابن عمر عن صالح ابن سعيد عن عائشة أنها فقدت النبي ﷺ من مضجعه فلمسته يدها فوقع عليه وهو ساجد وهو يقول « رب أعط نفسى تقواها ، وزكها أنت خير من زكاهها ، أنت وليها ومولاها » تفرد به

(حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عاصم الأحول عن عبد الله بن الحارث عن زيد بن أرقم : قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والحرم والجبن والبخل وعذاب القبر . اللهم آت نفسى تقواها ، وزكها أنت خير من زكاهها ، أنت وليها ومولاها . اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع . وعلم لا ينفع ودعوة لا يستجاب لها » قال زيد كان رسول الله صلى الله

عليه وسلم بملئان ونحن نعلمكوهن ، رواه مسلم من حديث أبي معاوية عن عاصم الأحول عن عبد الله بن الحارث وأبي عثمان النهدي عن زيد بن أرقم به

﴿ كَذَبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا * إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا * قَالَتْ لِمُنَّ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذَّبُوهُ * فَغَارُهَا فَتَدَمَّ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾

يخبر تعالى عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغى وقال محمد بن كعب (بطغواها) أى بأجمعها والأول أولى قاله مجاهد وقتادة وغيرهما فأعقبتهم ذلك تكذيباً في قلوبهم بما جاءهم به رسولهم عليه الصلاة والسلام من الهدى واليقين (إذ انبعث أشقاها) أى أشقى القبيلة وهو قدار بن سالف عاقر الناقة وهو أحيمر ثمود وهو الذى قال الله تعالى (فتادوا أصحابهم فتعاطى ففقر) الآية وكان هذا الرجل عزيزاً فيهم شريفاً في قومه نسياراً رئيساً مطاعاً كما قال الإمام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا هشام عن أبيه عن عبد الله بن زمعة قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الناقة وذكر الذى عقرها فقال « إذ انبعث أشقاها انبعث لها رجل عارم عزيز منيع في رهطه مثل أبي زمعة » ورواه البخارى في التفسير ومسلم في صفة النار والترمذى والنسائى في التفسير من سنتيها وكذا ابن جرير وابن أبي حاتم عن طوق عن هشام بن عروة به . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا عيسى بن يونس حدثنا محمد بن إسحاق حدثني يزيد بن محمد بن خثيم عن محمد بن كعب القرظي عن محمد بن خثيم بن أبي مرثد عن عمار ابن ياسر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى « ألا أحدثك بأشقى الناس ، » قال بلى قال « رجلان أحيمر ثمود الذى عقروا الناقة والذى يضربك يا على على هذا - يعنى قرنه - حتى تبتل منه هذه » يعنى لحيته . وقوله تعالى (فقال لهم رسول الله) يعنى صالحاً عليه السلام (ناقة الله) أى احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء (وسقياها) أى لا تعتدوا عليها فى سقياها فان لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم قال الله تعالى (فكذبوه فغارواها) أى كذبوه فيما جاءهم به فأعقبهم ذلك أن عقروا الناقة التى أخرجها الله من الصخرة آية لهم وحجة عليهم (فدمدم عليهم ربهم بذنبيهم) أى غضب عليهم فدمر عليهم (فسواها) أى فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء قال قتادة بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأتاهم فلما اشترك القوم فى عقروها دمدم الله عليهم بذنبيهم فسواها . وقوله تعالى (ولا يخاف) وقرئ « فلا يخاف (عقباها) قال ابن عباس لا يخاف الله من أحد تبعه وكذا قال مجاهد والحسن وبكر بن عبد الله المزنى وغيرهم وقال الضحاك والسدى (ولا يخاف عقباها) أى لم يخف الذى عقروها عاقبة ما صنع ، والقول الأول أولى لدلالة السياق عليه والله أعلم . آخر تفسير سورة والشمس وضحاها ، والله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة الليل وهى مكية ﴾

هدم قوله عليه الصلاة والسلام لماذا « فهلا صليت بسبح اسم ربك الأعلى ، والشمس وضحاها ، والليل إذا يشئى

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى * فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَلِّسْ لَهُ الْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَلِّسْ لَهُ الْيُسْرَى * وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا شعبة عن الليث عن إبراهيم عن علقمة أنه قدم الشام فدخل مسجد دمشق فصلى فيه ركعتين وقال : اللهم ارزقني جليسا صالحا : قال فجلس إلى أبي الدرداء فقال له أبو الدرداء ممن أنت؟ قال من أهل الكوفة ، قال كيف سمعت ابن أم عبد يقرأ (والليل إذا يشئى * والنهار إذا تجلى) قال علقمة (والذكر

(والأثنى) فقال أبو الدرداء لقد سمعتها من رسول الله ﷺ فما زال هؤلاء حتى شككوني ثم قال ألم يكن فيكم صاحب السواد وصاحب السر الذي لا يعلمه أحد غيره والذي أجبر من الشيطان على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وقد رواه البخارى ههنا ومسلم من طريق الأعمش عن إبراهيم قال قدم أصحاب عبد الله على أبي الدرداء فطلبهم فوجدهم فقال أيكم يقرأ على قراءة عبد الله؟ قالوا كلنا، قال أيكم أحفظ؟ فأشاروا إلى علقمة فقال كيف سمعته يقرأ (والليل إذا يغشى - قال - والدكر والأثنى) قال أشهد أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ هكذا وهو لا يريدنى على أن أقرأ (وما خلق الله الكر والأثنى) والله لا أتابعهم هذا لفظ البخارى. هكذا قرأ ذلك ابن مسعود وأبو الدرداء ورفعهم أبو الدرداء وأما الجمهور فقرأوا ذلك كما هو المثلث في المصحف الإمام العناني في سائر الآفاق (وما خلق الله الكر والأثنى) فأقسم تعالى (بالليل إذا يغشى) أى إذا غشى الخليفة بظلامه (والنهار إذا تجلى) أى بضياؤه وإشراقه (وما خلق الله الكر والأثنى) كقوله تعالى (وخلقناكم أزواجا) وكقوله (ومن كل شئ خلقنا زوجين) ولما كان القسم بهذه الأشياء المتضادة كان القسم عليه أيضا متضادا ولهذا قال تعالى (إن سعيكم لشتى) أى أعمال العباد التى اكتسبوها متضادة أيضا ومتخالفة فمن فاعل خيرا ومن فاعل شرا قال الله تعالى (فأما من أعطى واتقى) أى أعطى ما أمر بإخراجه واتقى الله فى أموره (وصدق بالحسنى) أى بالمجازاة على ذلك قاله قتادة، وقال خصيف بالثواب وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو صالح وزيد بن أسلم (وصدق بالحسنى) أى بالخلف وقال أبو عبد الرحمن السلمي والضحاك (وصدق بالحسنى) أى بلائله إلا الله وفى رواية عن عكرمة (وصدق بالحسنى) أى بما أنعم الله عليه، وفى رواية عن زيد بن أسلم (وصدق بالحسنى) قال الصلاة والزكاة والصوم وقال مرة وصدقة الفطر. وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان بن صالح الشمشى حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا زهير بن محمد حدثنى من مع أبا العالية الرباحى يحدث عن أبى بن كعب قال سألت رسول الله ﷺ عن الحسنى قال «الحسنى: الجنة»

وقوله تعالى (فستيسره لليسرى) قال ابن عباس يعنى للخير، وقال زيد بن أسلم يعنى للجنة وقال بعض السلف من ثواب الحسننة الحسننة بعدها، ومن جزاء السيئة السيئة بعدها ولهذا قال تعالى (وأما من بخل) أى بجماعته (واستغنى) قال عكرمة عن ابن عباس أى بخل بماله واستغنى عن ربه عز وجل. رواه ابن أبى حاتم (وكذب بالحسنى) أى بالجزاء فى الدار الآخرة (فستيسره لليسرى) أى لطريق الشر كما قال تعالى (وتقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون) والآيات فى هذا المعنى كثيرة دالة على أن الله عز وجل يجازى من قصد الخير بالتوفيق له ومن قصد الشر بالخذلان وكل ذلك بقدر مقدر والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة ﴿رواية أبى بكر الصديق رضى الله عنه﴾ قال الإمام أحمد حدثنا على بن عياش حدثنى العطار بن خاله حدثنى رجل من أهل البصرة عن طلحة ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق عن أبيه قال سمعت أبى يذكر أن أباه مع أبى بكر وهو يقول: قلت لرسول الله ﷺ يا رسول الله أنعمل على ما فرغ منه أو على أمر مؤتلف؟ قال «بل على أمر قد فرغ منه» قال فقيم العمل يا رسول الله؟ قال «كل ميسر لما خلق له» ﴿رواية على رضى الله عنه﴾ قال البخارى حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن الأعمش عن سعيد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن السلمي عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيعع الفرقد فى جنازة فقال «ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار» فقالوا يا رسول الله أفلا تتكل؟ فقال «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» ثم قرأ (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فستيسره لليسرى - إلى قوله - لليسرى) وكذا رواه من طريق شعبة ووكيع عن الأعمش بنحوه. ثم رواه عن عثمان بن أبى شيبة عن جرير عن منصور عن سعيد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: كنا فى جنازة فى بيعع الفرقد فأتى رسول الله ﷺ فقمع وقعدنا حوله ومعه غصرة فنكس فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال «ما منكم من أحد - أو ما من نفس منقوسة - إلا كتب مكانها من الجنة والنار وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة» فقال رجل يا رسول الله أفلا تتكل على كتابنا وندع العمل؟ فمن كان منا من

أهل السعادة فيصير إلى أهل السعادة ومن كان منامن أهل الشقاء فيصير إلى أهل الشقاء ؟ فقال « أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاء فييسرون إلى عمل أهل الشقاء » ثم قرأ (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) وقد أخرجه بقية الجماعة من طرق عن سعيد بن عبيدة به (رواية عبد الله بن عمر) قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا شعبة عن عاصم بن عبيد الله قال سمعت سالم بن عبد الله يحدث عن ابن عمر قال قال عمر يارسول الله أرأيت ما نعمل فيه أتى أمر قد فرغ أو مبتدأ أو مبتدع ؟ قال « فيما قد فرغ منه ، فاعمل يا ابن الخطاب فإن كلا ميسر ، أما من كان من أهل السعادة فإنه يعمل للسعادة وأما من كان من أهل الشقاء فإنه يعمل للشقاء » ورواه الترمذى في القدر عن بندار عن ابن مهدي به وقال حسن صحيح (حديث آخر من رواية جابر) قال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله أنه قال يارسول الله أنعمل لأمر قد فرغ منه أو لأمر نستأنفه ؟ فقال « لأمر قد فرغ منه » فقال سراقه فقيم العمل إذا ؟ فقال رسول الله ﷺ « كل عامل ميسر لعمله » ورواه مسلم عن أبي الطاهر عن أبي بن وهب به (حديث آخر) قال ابن جرير حدثني يونس حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن طلق بن حبيب عن بشير بن كعب العدوي قال سألت غلامان شابان النبي ﷺ فقالا : يارسول الله أنعمل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أو في شيء يستأنف ؟ فقال « بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير » قالوا : فقيم العمل إذا ؟ قال « اعملوا فكل عامل ميسر لعمله الذي خلق له » قالوا : نحمد ونعمل (رواية أبي الدرداء) قال الإمام أحمد حدثنا هشيم بن خارجة حدثنا أبو الربيع سليمان ابن عتبة السلمي عن يونس بن ميسرة بن حلبس عن أبي إدريس عن أبي الدرداء قال : قالوا يارسول الله أرأيت ما نعمل أمر قد فرغ منه أم شيء نستأنفه ؟ قال « بل أمر قد فرغ منه » فقالوا فكيف بالعمل يارسول الله ؟ قال « كل امرئ مهياً لما خلق له » تفرد به أحمد من هذا الوجه .

(حديث آخر) قال ابن جرير حدثني الحسن بن سلمة بن أبي كبشة حدثنا عبد الملك بن عمرو حدثنا عباد بن راشد عن قتادة حدثني خلود العصري عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من يوم غربت فيه شمسه إلا وبجنتها ملكان يناديان يسمعهما خلق الله كلهم إلا الثقلين : اللهم أعط منفقاً خلفاً وأعط ممسكاً تلفاً » وأنزل الله في ذلك القرآن (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن ابن أبي كبشة باسناده مثله (حديث آخر) قال ابن أبي حاتم حدثني أبو عبد الله الظهري حدثنا حفص بن عمر العدني حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلاً كان له نخيل ومنها نخلة فرعها في دار رجل صالح فقير ذي عيال فإذا جاء الرجل فدخل داره ف يأخذ الثمرة من نخلته فتسقط الثمرة فيأخذها صبيان الرجل الفقير فينزل من نخلته فينزع الثمرة من أيديهم وإن أدخل أحدهم الثمرة في فمه أدخل أصبعه في حلق الغلام ونزع الثمرة من حلقه فشكا ذلك الرجل إلى النبي ﷺ وأخبره بما هو فيه من صاحب النخلة فقال له النبي ﷺ « اذهب » ولقي النبي صلى الله عليه وسلم صاحب النخلة فقال له « أعطني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة » فقال له لقد أعطيت ولكن يعجبني ثمرها وإن لي لنخلاً كثيراً ما فيها نخلة أعجب إلى ثمره من ثمرها فذهب النبي ﷺ فتبعه رجل كان يسمع الكلام من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صاحب النخلة فقال الرجل يارسول الله إن أنا أخذت النخلة فصارت لي النخلة فأعطيتك إياها أتعطيني ما أعطيتك بها نخلة في الجنة ؟ قال « نعم » ثم إن الرجل لقي صاحب النخلة ولكلاهما نخل فقال له أخبرك أن محمداً أعطاني بنخلي المائة في دار فلان نخلة في الجنة فقلت له قد أعطيت ولكن يعجبني ثمرها فسكت عنه الرجل فقال له أراك إذا بعثها قال لا إلا أن أعطى بها شيئاً ولا أظنني أعطاه قال : وما مناك ؟ قال أربعون نخلة فقال الرجل : لقد جئت بأمر عظيم نخلتك تطالب بها أربعين نخلة ، ثم سكنا وأنشأ في كلام آخر ثم قال أنا أعطيتك أربعين نخلة فقال اشهد لي إن كنت صادقاً فأمر بأناس فدعاهم فقال اشهدوا أني قد أعطيتك من نخلي أربعين نخلة بنخلة التي فرعها في دار فلان بن فلان ثم قال مات قول

فقال صاحب النخلة قدرضيت ، ثم قال بعد ليس بيني وبينك بيع لم تفرق فقال له قد أفالك الله ولست بأحق حين أعطيتك أربعين نخلة بنخلتك المائة فقال صاحب النخلة قدرضيت على أن تعطيني الأربعين على ما أريد قال تعطيتها على ساق ثم مكث ساعة ثم قال هي لك على ساق وأوقف له شهوداً وعد له أربعين نخلة على ساق ففترقا فذهب الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله إن النخلة المائة في دار فلان قد صارت لي فهي لك فذهب رسول الله ﷺ إلى الرجل صاحب النار فقال له « النخلة لك ولعمالك » قال عكرمة قال ابن عباس فأنزل الله عز وجل (والليل إذا يغشى - إلى قوله - فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره اليسرى . وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره اليسرى) إلى آخر السورة ، هكذا رواه ابن أبي حاتم وهو حديث غريب جداً .

قال ابن جرير وذكر أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حدثنا هارون بن إدريس الأصم حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي حدثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن عبيد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال كان أبو بكر رضي الله عنه يمتق على الإسلام بمكة فكان يمتق عجائز ونساء إذا أسلمن فقال له أبوه أي بني أراك تمتق أناساً ضعفاء فلو أنك تمتق رجالاً جلداء يقومون معك ويمنعونك ويدفنون عنك فقال أي أبت إنما أريد - أظنه قال - ما عند الله قال فحدثني بعض أهل بيتي أن هذه الآية أنزلت فيه (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره اليسرى) ، وقوله تعالى (وما ينفي عنه ماله إذا تردى) قال مجاهد : أي إذامات . وقال أبو صالح ومالك عن زيد بن أسلم إذا تردى في النار .

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ * وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ * فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ * لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ * وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ * وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ * إِلَّا ابْتِغَاءً وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾

قال قتادة (إن علينا للهدى) أي نبين الحلال والحرام ، وقال غيره : من سلك طريق الهدى وصل إلى الله وجعله كقوله تعالى (وعلى الله قصد السبيل) حكاه ابن جرير ، وقوله تعالى (وإن لنا للآخرة والأولى) أي الجميع ملكنا وأنا للتصرف فيهما ، وقوله تعالى (فأندرتكم ناراً تلتظي) قال مجاهد أي توهج . قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سهاك بن حرب سمعت النعمان بن بشير يخطب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يقول « أندرتكم النار » حتى لو أن رجلاً كان بالسوق لسمعته من مقامى هذا قال حتى وقعت خميسة كانت على عاتقه عند رجله . وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثني شعبة حدثني أبو إسحاق سمعت النعمان بن بشير يخطب ويقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن أهول أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل توضع في أحمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه » رواه البخاري ، وقال مسلم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو أسامة عن الأعمش عن أبي إسحاق عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ « إن أهول أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي الرجل ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً وإنه لأهونهم عذاباً » ، وقوله تعالى (لا يصلاحها إلا الأشقى) أي لا يدخلها دخولا يحيط به من جميع جوانبها إلا الأشقى ثم فسره فقال (الذي كذب) أي بقلبه (وتولى) أي عن العمل بجوارحه وأركانها

قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا بن لهيعة حدثنا عبد الله بن سعيد القبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لا يدخل النار إلا الشقى » قيل ومن الشقى قال « الذي لا يعمل بطاعة ولا يترك لله معصية » وقال الإمام أحمد حدثنا يونس وشريح قالوا حدثنا فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « كل أمت تدخل الجنة يوم القيامة إلا من أبي » قالوا ومن يأبى يارسول الله ؟

قال « من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى » ورواه البخارى عن محمد بن سنان عن فليح به وقوله تعالى (وسيجنبها الأتقى) أى وسيزحزح عن النار التقي التقي الأتقى ثم فسره بقوله (الذى يؤتى ماله يتزكى) أى يصرف ماله فى طاعة ربه ليتزكى نفسه وماله وما وهبه الله من دين ودنيا (وما لأحد عنده من نعمة تجزى) أى ليس بذله ماله فى مكافأة من أسدى إليه معروفًا فهو يعطى فى مقابلة ذلك وإنما دفعه ذلك (ابتغاء وجه ربه الأعلى) أى طمعا فى أن يحصل له رؤيته فى الدار الآخرة فى روضات الجنات قال الله تعالى (ولسوف يرضى) أى ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات ، وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه حتى إن بعضهم حكى الاجماع من المفسرين على ذلك ، ولا شك أنه داخل فيها وأولى الأمة بعمومها فان لفظها لفظ العموم ، وهو قوله تعالى (وسيجنبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى) ولكنه مقدم الأمة وسابقتهم فى جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة فانه كان صديقا تقياً كريماً جواداً بذالاً لأمواله فى طاعة مولاه ونصرة رسول الله ﷺ فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم ولم يكن لأحد من الناس عنده منة يحتاج إلى أن يكافئه بها ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل ولهذا قال له عروة بن مسعود وهو سيد ثقيف يوم صلح الحديبية أما والله لولا يدك عندي لم أجرك بها لأجبتك وكان الصديق قد أغلظ له فى القالة فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل فكيف بمن عداهم ، ولهذا قال تعالى (وما لأحد عنده من نعمة تجزى * إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى) . وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « من أنفق زوجين فى سبيل الله دعت خزنة الجنة يا عبد الله هذا خير » فقال أبو بكر يا رسول الله ما على من يدعى منها ضرورة فهل يدعى منها كلها أحد ؟ قال « نعم وأرجو أن تكون منهم » ، آخر تفسير سورة الليل والله الحمد والمنة

(تفسير سورة الضحى وهى مكية)

روينا من طريق أبى الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبى بزة المقرئ قال: قرأت على عكرمة بن سليمان وأخبرنى أنه قرأ على إسماعيل بن قسطنطين وشبل بن عباد فلما بلغت والضحى قال لى : كبر حتى تختم مع خاتمة كل سورة فإننا قرأنا على ابن كثير فأمرنا بذلك . وأخبرنا أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك . وأخبره ابن عباس فأمره بذلك وأخبره ابن عباس أنه قرأ على أبى بن كعب فأمره بذلك وأخبره أبى أنه قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره بذلك فهذه سنة تفرد بها أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البزى من ولد القاسم بن أبى بزة وكان إماما فى القراءات . فأما فى الحديث فقد ضعفه أبو حاتم الرازى وقال لا أحدث عنه وكذلك أبو جعفر العقيلي قال هو منكر الحديث لكن حكى الشيخ شهاب الدين أبو شامة فى شرح الشاطبية عن الشافعى أنه سمع رجلا يكبر هذا التكبير فى الصلاة فقال : أحسنت وأصبحت السنة وهذا يقتضى صحة هذا الحديث . ثم اختلف القراء فى موضع هذا التكبير وكيفيته فقال بعضهم يكبر من آخر الليل إذا يغشى ، وقال آخرون من آخر والضحى ، وكيفية التكبير عند بعضهم أن يقول الله أكبر ويقتصر ، ومنهم من يقول الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر . وذكر القراء فى مناسبة التكبير من أول سورة الضحى أنه لما تأخر الوحي عن رسول الله ﷺ وقرت تلك المدة ثم جاء الملك فأوحى إليه (والضحى والليل إذا سجى) السورة بتامها كبر فرحا وسرورا ، ولم يرو ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف فانه أعلم

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَعَدَكَ رَبُّكَ وَمَا ظَلَمْتَهُ * وَاللَّآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ * وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ * أَلَمْ يَجِدَكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ * فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)

قال الإمام أحمد حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن الأسود بن قيس قال سمعت حندا يقول : اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلة أو ليلتين فأنت امرأة فقالت يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك فأنزل الله عز وجل (والضحي والليل إذا سجي * ما ودعك ربك وما قلى) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن جرير من طرق عن الأسود بن قيس عن جندب هو ابن عبد الله الجبلي ثم العلقمي به وفي رواية سفيان بن عيينة عن الأسود بن قيس مع جندب قال أبطأ جبريل على رسول الله ﷺ فقال المشركون ودع محمدا ربه فأنزل الله تعالى (والضحي والليل إذا سجي * ما ودعك ربك وما قلى) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج وعمرو بن عبد الله الأودي قال حدثنا أبو أسامة حدثني سفيان حدثني الأسود بن قيس أنه سمع جندبا يقول رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر في أصبعه فقال : « هل أنت إلا أصبع دميت * وفي سبيل الله ما لعيت ؟ »

قال فمكث ليلتين أو ثلاثا لا يقوم فقالت له امرأة ما أرى شيطانك إلا قد تركك فنزلت (والضحي والليل إذا سجي * ما ودعك ربك وما قلى) والسياق لأبي سعيد قيل إن هذه المرأة هي أم جميل امرأة أبي لهب ، وذكر أن أصبعه عليه السلام دميت ، وقوله هذا الكلام الذي اتفق أنه موزون ثابت في الصحيحين ولكن الغريب هنا جعله سببا لتركة القيام ونزول هذه السورة . فأما ما رواه ابن جرير حدثنا ابن أبي الشوارب حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا سليمان الشيباني عن عبد الله بن شداد أن خديجة قالت للنبي ﷺ ما أرى ربك إلا قد قلاك فأنزل الله (والضحي والليل إذا سجي * ما ودعك ربك وما قلى) وقال أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن هشام بن عروة عن أبيه قال أبطأ جبريل على النبي ﷺ فجزع جزعا شديدا فقالت خديجة إنى أرى ربك قد قلاك مما نرى من جزعك قال فنزلت (والضحي والليل إذا سجي * ما ودعك ربك وما قلى) إلى آخرها فانه حديث مرسل من هذين الوجهين ولعل ذكر خديجة ليس محفوظا أو قاله على وجه التأسف والتحزن والله أعلم

وقد ذكر بعض السلف منهم ابن إسحق هذه أن السورة هي التي أوحاها جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تبدى له في صورته التي خلقه الله عليها ودنا إليه وتدل منبسطا عليه وهو بالأبطح (فأوحى إلى عبده ما أوحى) قال : قاله هذه السورة (والضحي والليل إذا سجي) قال العوفي عن ابن عباس لما نزل على رسول الله ﷺ القرآن أبطأ عنه جبريل أياما فتغير بذلك فقال المشركون ودعه ربه وقلاه فأنزل الله (ما ودعك ربك وما قلى) وهذا قسم منه تعالى بالضحي وما جعل فيه من الضياء (والليل إذا سجي) أى سكن فأظلم وادهم ؟ قاله مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد وغيرهم وذلك دليل ظاهر على قدرة خالق هذا وهذا كما قال تعالى (والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى) وقال تعالى (فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبا وذلك تقدير العزيز العليم) وقوله تعالى (ما ودعك ربك) أى ما تركك (وما قلى) أى وما أبغضك (وللآخر خير لك من من الأولى) أى وللدار الآخرة خير لك من هذه الدار ، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهدهم للناس في الدنيا وأعظمهم لها اطراحا كما هو معلوم بالضرورة من سيرته ، ولما خير عليه السلام في آخر عمره بين الخلد في الدنيا إلى آخرها ثم الجنة وبين الصيرورة إلى الله عز وجل اختار ما عند الله على هذه الدنيا الدنية ، قال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا المسعودي عن عمرو بن مرة عن إبراهيم النخعي عن علقمة عن عبد الله هو ابن مسعود قال : اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فأثر في جنبه فلما استيقظ جعلت أمسح جنبه وقلت يا رسول الله ألا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مالى وللدنيا إنما مثلى ومثل الدنيا كراكب ظل تحت شجرة ثم راح وتركها » ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث المسعودي به وقال الترمذي حسن صحيح . وقوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) أى في الدار الآخرة يعطيه حتى يرضيه في أمته وفيها أعد له من الكرامة ومن جملة نهر الكوثر الذى حافته قباب اللؤلؤ المجوف وطيه مسك أذفر كما سيأتى وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي عن إسماعيل بن عبد الله ابن أبي المهاجر الخزومي عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال عرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته من بعده كنزا كنزا فسر بذلك فأنزل الله (ولسوف يعطيك ربك فترضى) فأعطاه في الجنة ألف ألف قصر

في كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من طريقه وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ومثل هذا ما يقال إلا عن توقيف وقال السدي عن ابن عباس من رضاء محمد ﷺ أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وقال الحسن يعني بذلك الشفاعة وهكذا قال أبو جعفر الباقر وقال أبو بكر ابن أبي شيبة حدثنا معاوية بن هشام عن طي بن صالح عن يزيد بن أبي زياد عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ، ولسوف يعطيك ربك فترضى » .

ثم قال تعالى يعدد نعمه على عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه (ألم يجده يتيمًا فأوى) وذلك أن أباه توفي وهو حمل في بطن أمه وقيل بعد أن ولد عليه السلام ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين ، ثم كان في كفالة جده عبد المطلب إلى أن توفي وله من العمر ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب ، ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقره ويكف عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره ، هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان وكل ذلك بقدر الله وحسن تديره إلى أن توفي أبو طالب قبل الهجرة بهليل فأقدم عليه سفهاء قريش وجهالهم فاختر الله له الهجرة من بين أظهرهم إلى بلد الأنصار من الأوس والخزرج كما أجرى الله سنته على الوجه الأتم الأكل فلما وصل إليهم آووه ونصروه وحاطوه وقاتلوا بين يديه رضى الله عنهم أجمعين وكل هذا من حفظ الله له وكلاءته وعنايته به ، وقوله تعالى (ووجدك ضالًا فهدى) كقوله (وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورًا نهدى به من نشاء من عبادنا) الآية ومنهم من قال إن المراد بهذا أن النبي صلى الله عليه وسلم ضل في شعاب مكة وهو صغير ثم رجع وقيل إنه ضل وهو مع عمه في طريق الشام وكان راكبًا ناقه في الليل فجاء إبليس فعدل بها عن الطريق فجاء جبريل ففخ إبليس ففخه ذهب منها إلى الحبيشة ثم عدل بالراحلة إلى الطريق حكاهما البغوي ، وقوله تعالى (ووجدك عائلًا فأغنى) أى كنت فقيرًا ذاعيلًا فأغناك الله عم من سواء فجمع له بين مقامى الفقير الصابر والغنى الشاكر صلوات الله وسلامه عليه . وقال قتادة في قوله (ألم يجده يتيمًا فأوى ، ووجدك ضالًا فهدى ، ووجدك عائلًا فأغنى) قال كانت هذه منازل رسول الله ﷺ قبل أن يبعثه الله عز وجل . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وفي الصحيحين من طريق عبد الرزاق عن معمر بن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ليس التنى عن كثرة العرض ولكن التنى غنى النفس » وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « قد أفلح من أسلم ورزق كفافًا وقعه الله بما آتاه » ثم قال تعالى (فأما اليتيم فلا تقهر) أى كما كنت يتيمًا فأوأك الله فلا تقهر اليتيم أى لا تنذه وتنهه ولكن أحسن إليه وتلطف به ، قال قتادة كنى لليتيم كالأب الرحيم (وأما السائل فلا تنهر) أى وكما كنت ضالًا فهداك الله فلا تنهر السائل في العلم المسترشد قال ابن إسحاق (وأما السائل فلا تنهر) أى فلا تكن جبارًا ولا منكبرًا ولا فحاشًا ولا فظًا على الضعفاء من عباد الله ، وقال قتادة يعنى رد المسكين برحمة ولين (وأما بنعمة ربك فحدث) أى وكما كنت عائلًا فقيرًا فأغناك الله فحدث بنعمة الله عليك كما جاء في الدعاء المأثور النبوى « واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها عليك قابلينها وأعمها علينا » وقال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية حدثنا سعيد بن بإس الجريرى عن أبي نضرة قال كان المسلمون يرون أن من شكر النعم أن يحدث بها

وقال عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا منصور بن أبى مزاحم حدثنا الجراح بن فليح عن أبى عبد الرحمن عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على النبر « من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر ، والجماعة رحمة والفرقة عذاب » وإسناده ضعيف وفي الصحيحين عن أنس أن المهاجرين قالوا يا رسول الله ذهب الأنصار بالأجر كله قال « لا ما دعوتهم الله لهم وأنتميم عليهم » . وقال أبو داود حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا الربيع بن مسلم عن محمد بن زياد عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » ورواه الترمذى عن أحمد بن محمد عن ابن المبارك عن الربيع بن مسلم

وقال صحيح . وقال أبو داود حدثنا عبد الله بن الجراح حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن النبي ﷺ قال « من أبى بلاء فذكره فقد شكره ، ومن كتمه فقد كفره » تفرد به أبو داود . وقال أبو داود : حدثنا مسدد حدثنا بشر حدثنا عمار بن غزيرة حدثني رجل من قومي عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أعطى عطاء فوجد فليجز به ، فان لم يجد فليئن به فمن أثنى به فقد شكره ومن كتمه فقد كفره ، قال أبو داود : ورواه يحيى بن أيوب عن عمار بن غزيرة عن شرحبيل عن جابر كرهوه فلم يسموه تفرد به أبو داود ، وقال مجاهد يعني النبوة التي أعطاك ربك وفي رواية عنه القرآن ، وقال ليث عن رجل عن الحسن بن علي (وأما بنعمة ربك فحدث) قال ما عملت من خير فحدث إخوانك ، وقال محمد بن إسحق ما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة فحدث بها واذكرها وادع إليها قال فجعل رسول الله ﷺ يذكر ما أنعم الله به عليه من النبوة سرا إلى من يطمئن إليه من أهله وافترضت عليه الصلاة فصلي . آخر تفسير سورة الضحى والله الحمد ولله

(تفسير سورة ألم نشرح وهي مكية)

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَقْبَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ * فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾

يقول تعالى (ألم نشرح لك صدرك) يعني أنا شرحنا لك صدرك أي نورناه وجمالناه فسيحارحيا واسما كقوله (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) وكما شرح الله صدره كذلك جعل شرعه فسيحا واسما محاسنا لا حرج فيه فيه ولا إصر ولا ضيق . وقيل المراد بقوله (ألم نشرح لك صدرك) شرح صدره ليلة الاسراء كما تقدم من رواية مالك بن صعصعة وقد أورده الترمذي ههنا وهذا وإن كان واقعا ليلة الاسراء كما رواه مالك بن صعصعة ولكن لا منافاة فان من جملة شرح صدره الذي فعل بصدرة ليلة الاسراء وما نشأ عنه من الشرح المعنوي أيضا فله أعلم

قال عبد الله بن الإمام أحمد حدثني محمد بن عبد الرحيم أبو يحيى البزار حدثنا يونس بن محمد حدثنا معاذ بن محمد ابن أبي بن كعب حدثني أبو محمد بن معاذ عن محمد بن عبد الله بن كعب أن أبا هريرة كان جريئا على أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء لا يسأله عنها غيره فقال يا رسول الله ما أول ما رأيت من أمر النبوة؟ فاستوى رسول الله ﷺ جالسا وقال « لقد سألت يا أبا هريرة ، إني في الصحراء ابن عشر سنين وأشهر وإذا بكلام فوق رأسي وإذا رجل يقول لرجل أهو هو؟ فاستقبلاني بوجوه لم أرها قط وأرواح لم أجدها من خلق قط وثياب لم أرها على أحد قط فأقبلا إلى يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضي لا أجدهما مساقا فقال أحدهما لصاحبه أضجمه فأضجماني بلا قصر ولا هصر فقال أحدهما لصاحبه اقلق صدري فهورى أحدهما إلى صدري فقلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع فقال له أخرج الغل والحسد فأخرج شيئا كهيئة العلقة ثم نبذها فطرحها فقال له أدخل الرأفة والرحمة فإذا مثل الذي أخرج شبه الفضة ثم هز إبهام رجلي اليمنى فقال أعد واسلم فرجعت بها أعدورقة على الصغير ، ورحمة للكبير » وقوله تعالى (ووضعنا عنك وزرك) بمعنى (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) (الذي أقبض ظهرك) الاتقاض الصوت وقال غير واحد من السلف في قوله (الذي أقبض ظهرك) أي اثقلك حمله ، وقوله تعالى (ورفعنا لك ذكرك) قال مجاهد لا أذكر إلا ذكرت معي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، وقال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرنا عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ أنه قال « أتاني جبريل فقال إن ربي وربك يقول كيف رفعت ذكرك : قال الله أعلم قال إذا ذكرت ذكرت معي » وكذا رواه ابن أبي حاتم عن يونس عن عبد الأعلى به ورواه أبو يعلى من طريق ابن لميعة عن دراج : وقال ابن أبي حاتم